منهج المستشرقين الاستدلالي

(دراسة نقدية)

للدكتور / أحمد إسماعيل أحمد أبو شنب
مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

" ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخطَ اللهَ وكرِهوا رضوانَه فأحبطَ أعمالَهم . أم حسب الذين فى قلوبهم مرضٌ أن لَّن يُّخرجَ اللهُ أضغانَهم . ولو نشاءُ لأريْناكَهم فَلَعَرَفْتَهم بسيماهم ولَتَعْرِفَنَّهم فى لحن القولِ واللهُ يعلمُ أعمالَكم " . (١)

---

(١) سورة محمد : ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين .. المتفرد بالجمال والجلال .. المنزه عن النظير والند ، والصاحبة والولد . سبحانه وتعالى " لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " " ليس كمثله شئ وهو السميع البصير " لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير "

إنه من يهدى الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ، جعل العزة فى صدق الإيمان به تعالى وبدينه ، وصدق التوكل عليه ، وحسن الظن به ، وصدق العمل ، وجعل الذلة فى مجافاته تعالى ، واتباع الهوى ، والانحراف عن شريعته ومنهاجه .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد سيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، إمام الدعاة المخلصين .. وقائد الغر المحجلين .. الذى أرسله الله تعالى رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه ، ومن اتبع ملته ونهج نهجه ، وسلك سبيله إلى يوم الدين

وبعد

فإن دراسة المنهج الاستدلالى لدى المستشرقين المتبع فى الدراسات الإسلامية باتت قضية تفرض نفسها وبإلحاح على الحركة النقدية للاستشراق ، ذلك أن أحدا – على حد علمى – لم يعر هذه القضية انتباها وربما غفل عنها وشغل بغيرها ، لأن معظم اهتمامات النقاد كانت منصبة على موضوع الاستشراق وتفنيد ما حواه من شبهات كثيرة تهدف إلى زعزعة اعتقاد المسلمين فى دينهم واستمساكهم به ، وتحاول تشويه الإسلام فى نظر غير المسلمين ليحول دون اعتناقهم ، وليمثل عائقا قويا أمام المد الإسلامى القوى فى العالم !! هذا من جانب .

ومن جانب آخر فإن اهتماماتهم كانت منصبة – أيضا – على نقد المنهج

الاستشراقى من حيث العرض والتناول ، وقد أُلّف فى هذين الاتجاهين التى قامت عليهما الحركة النقد ية للاستشراق عدة مؤلفات قيمة أوضحت الحقيقة ، وأزالت اللبس والغموض والاشتباه المثار حول قضايا الإسلام ، وبينت أخطاء المستشرقين المتعمدة ، وغير المتعمدة فى الدراسات الإسلامية ، وكانت مؤلفات جديرة بالتقدير والاحترام ٠٠ يدفعها البحث عن الحق والدفاع عنه ، والغيرة على الإسلام – ذلك الدين الإلهى العالمى الخاتم ٠٠ ملتزمين بالموضوعية والحيدة والأمانة العلمية ، متبعين قواعد المنهج النقدى فى نقد المقدمات والنتائج ، وبيان اتفاقها ومخالفتها مع وجهة النظر الإسلامية ، وبيان مواطن القصور فيها والزلل .

وهذان سببان جعلا الحركة النقدية للاستشراق تنفتح على نقد الموضوع ، ومنهج العرض والتناول ، وتتقاصر عن نقد منهج الاستدلال لدى المستشرقين فى الدراسات الإسلامية

وثمة فرق كبير بين المنهجين ، **فمنهج العرض والتناول** يمكن أن يعبر عنه باتباع أنماط معينة فى أسلوب العرض وأسلوب التناول ، أما **المنهج الاستدلالى** فيختص بالقواعد التى يستخدمها المستشرقون فى إنشاء الأدلة ، وانتزاع الأحكام منها ، ثم الخروج بنتيجة كلية أو جزئية متمخضة عنها .

وأقول " **إنشاء الأدلة** " ولا أقول " **بناء الأدلة** " ، لأن الإنشاء أمر يحتمل الصدق والكذب ، والصحة والخطأ ، بخلاف البناء فهو إلى معنى الصحة والتقويم أقرب من الإنشاء ، وهو يعطى مدلول التماسك والانتظام ، مما يميز الأدلة بالقوة والصحة ، ويعكس صدقها وانطباقها على الواقع ، ويضمن سلامة النتائج وصدق الأحكام ، ولم يثبت شئ من ذلك بعد .

ولما لم يكن هذا متوافرا فى المنهج الاستدلالى لدى المستشرقين فى

الدراسات الإسلامية لم أرتض التعبير عنه بالبناء ، واكتفيت بالتعبير عنه بالإنشاء ، ليكون هذا الإنشاء محك الاختبار ، ومثار النقد ، ومبعث الجدال البناء فى بيان خصائص المنهج والموضوع ، وبيان مواطن القصور فيهما .

ولأن هذا الموضوع جديد فى بابه فقد عانيت معاناة شديدة ، وواجهتني صعوبات ، كثيرة ، واستجدى منى دقة النظر ويقظة الانتباه ، إذ لم يكن من المراجع فى هذا الصدد ما أئتنس به ، وأسير فى ضوئه ، وأسترشد بقواعده النقدية المنهجية إلا ما جاء متناثرا فى عدد ضئيل من المراجع ، لا تنتظمه وحدة موضوعية ، وإنما جاء مرسلا فى دحض الشبهات ، ونقد الأسلوب فى العرض والتناول ، ولم يمثل إلا نقاطا محدودة لا يجمعها عنوان ولو جانبى أو فرعى يربطها بمنهج الاستدلال .

لذا اعتمدت على القراءة المتعمقة المستأنية الفاحصة لأتبين مدى انطباق قواعد هذا المنهج لدى المستشرقين على قواعده فى مناهج البحث العلمى ، حتى إذا ماانتبهت إلى مواطن الخطأ ، ووضعت يدي عليه انتزعته وعنونت له بصيغة تتفق وصياغات النقد المنهجى ، ثم أبديت أوجه القصور ومواطن العلل ، وقفيت على ذلك برؤية نقدية منهجية ، وبذلت جهدى فى أن تخرج بصورة علمية تتناسب والاتجاهات والقواعد النقدية ، ليكون لها فى حركة النقد قدم راسخة ، ولتمثل نواة لحركة نقدية تختص بنقد منهج الاستدلال لدى المستشرقين ، ولتستشرق إلى مزيد من الرؤى النقدية العلمية المنهجية لمن ينتهج من علماء المسلمين هذا المنهج ، ويهتم بتلك القضية .

وأنا لا أدعى أننى قد أتيت بكل ما يتعلق بنقد هذا المنهج الذى انبنى عليه الفكر الاستشراقى بتعدد اتجاهاته ، واختلاف مواقفه من الإسلام وتباينها ، أو بوحدتها واتفاقها ، وإنما حسبى أننى أفتح الباب لنفسى فى دراسات

أخرى ، ولغيرى فى هذا الصدد ، وأسأل الله أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه ويجعل نياتنا خالصة لوجهه الكريم وألا يحرمنا الثواب .

أهمية اختيار الموضوع

ترجع أهمية اختيار الموضوع إلى إنشاء الدليل واستنباط النتائج فى استقامة الرؤى والتصورات ، وإلى أن انضباط الباحث بمنهج البحث العلمى هو الذى يضمن له التوصل إلى نتائج موضوعية وجادة ، وأن عدم الالتزام به ، بل إن إنشاء قواعد جديدة لمنهج الاستدلال محكومة بالهوى والغرض وغير منضبطة علميا ، بل والانفراد بها ولو كانت منضبطة دون المتفق عليه من شأنه إفساد البحث العلمى ، إذ أن قيمة البحث بقيمة منهجيته ، وصدقه بصدق أدلته ومقدماته ونتائجه .

وتكمن خطورة هذا الموضوع فى أن بحوث المستشرقين فى الدراسات الإسلامية جاءت مخالفة لقواعد المنهج العلمى الاستدلالى ، غير منضبطة بها مما اقتضى ضرورة الاعتناء بدراسته ، وتلمّس مثارات النقد الموضوعى لقواعدهم ومنهجهم فى إنشاء الدليل .

منهجى فى البحث

سوف اعتمد فى بحثي هذا على المنهج التحليلى النقدى ، إلى جانب المنهج الاستدلالى لأن مثل هذه الدراسة تتطلب لونا من التحليل والتركيب. التحليل ويعنى به : تحليل المقدمات التى انبنت عليها النتائج ، ثم تحليل عناصر الأدلة ، والتركيب ويعنى به : تركيب عناصر جديدة تتمحض للنقد ، ولما يتطلبه هذان المنهجان من الاعتماد على أسس المنهج الاستدلالى كالبديهيات والمسلمات أو المصادرات ، والتعريف ، والنظريات ، ثم اتباع قواعد النقد العلمى فى نقد موضوع البحث

ومسلكي في هذا البحث ما يلي :

١- اعتمدت على المؤلفات الأصيله المعربة للاستشراق في جمع المادة العلمية من خلالها لضمان أقصى درجة ممكنة من الأمانة العلمية في استقاء المادة من مصادرها الأصيلة .

٢- كما اعتمدت على بعض مؤلفات الحركة النقدية للاستشراق في مجال تفنيد الشبهات ، ومنهج العرض والتناول لأستقي منها النصوص الاستشراقية في حالة عدم تمكني من الوقوف على المراجع الأصيلة

٣- الائتناس ببعض القواعد النقدية التي التزم بها بعض النقاد المسلمين لحركة الاستشراق .

٤- بيان مواطن الخطأ ومثارات النقد .

٥- نقد المنهج الاستدلالي لدى المستشرقين .

٦- الاستعانة بالكتاب الكريم والسنة الشريفة (١) ، واجتهادات علماء الأمة كمصادر أستقي منها من الأدلة ما يدعم رؤيتي النقدية .

٧- الاعتماد على بعض المؤلفات الاستشراقية المعتدلة نسبيا في دحض المنهج الاستدلالي ، والاستدلال بأقوال المستشرقين في معرض النقد لبيان الأخطاء المنهجية المتعددة التي وقع فيها نظراؤهم ، ليكون أمعن في الرد والنقد والتفنيد .

٨- حتى لا يكون نقدي لقواعد هذا المنهج الاستدلالي رجما بالغيب اعتمدت على ذكر أمثلة كأنماط لإنشاء الدليل من أقوال المستشرقين ، وجعلتها مادة للنقد ، حتى لا يكون نقدي إلا عن بينة لقناعتي بأن

---

(١) هذا الترتيب ليس رتبيا فالقرآن الكريم والسنة الشريفة لهما شرف التقديم الرتبي وإن جاءا متأخرين فإن ذلك من مقتضيات المنهج ذاته .

هى قوام البحث العلمى النزيه .

٩- لقد ركزت على موضوع البحث (نقد المنهج الاستدلالى عند المستشرقين) تركيزا كبيرا ، وإن كان هذا لا يبعدنى عن الإماءة إلى نقد الفكرة الاستشراقية المنبثقة من الدليل على سبيل الإجمال لا التفصيل حتى يلتفت إليها القارئ ، و يكون على وعى بها .

و لا تحسبنى بذلك مقصرا فما دفعنى إلى هذا إلا الموضوعية ، و الحرص على عدم الاستطراق إلى قضايا جانبية تصرف اهتمامنا عن موضوع البحث ، وتفرق الجهد فيما لا يكون بالضرورة موضوعا له .

هذا وقد اجتهدت رأيى ، وحسبى أن المجتهد إن أصاب فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر ، و إذا كان منى من إصابة فمن الله تعالى و بتوفيق منه سبحانه ، و ما كان من خطأ فمنى ، و أسأل الله تعالى أن يرزقنى الإصابة و التوفيق فى هذا البحث حتى يخرج بصورة مناسبة لعلها تسد فراغا فى المكتبة الإسلامية - فيما يتعلق بالحركة النقدية الاستشراقية - كثيرا ما افتقرت إليه .

وأسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم و أن ينفعنا به فى الدنيا وفى الآخرة والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين وسلم تسليما كثيرا

د . أحمد اسماعيل أحمد ابو شنب

فجر يوم الجمعة الموافق ٢١ من المحرم ١٤٢٠هـ

٧ من مايو ١٩٩٩م

المدخل

ويشتمل على ما يلى :

١- تعريف المنهج .

٢- تعريف الدليل .

٣- تعريف الاستدلال .

٤- تعريف المنهج الاستدلالى .

٥- أسس المنهج الاستدلالى .

٦- مفهوم الدراسة النقدية .

التعريف بمفردات البحث

أولا : تعريف المنهج :

(أ) فى اللغة .

ورد لفظ المنهج فى اللغة بمعنى الطريق الواضح البين ، ودارت حول هذا المعنى بعض مشتقات مادة (ن هـ ج) .

فقد جاء فى معنى نهج : وأنهج الطريق : (وضح واستبان) (١) وجاء فى معنى انتهج الطريق : (استبانه وسلكه) (٢) .

وفى استنهج الطريق : (صارنهجا) (٣) .

والمنهج والمنهاج بمعنى واحد : (الطريق الواضح ، وفى التنزيل العزيز : (**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا**) (٤) وبمعنى : الخطة المرسومة، ومنه منهاج الدراسة ومناهج التعليم ، ومنهاج التعليم ٠٠) (٥) .

ويتضح من خلال هذا المعنى اللغوى ما يلى :

١- المنهج هو الطريق الواضح البين .

٢- المنهج خطة مرسومة ، وهى بمعنى قواعد متبعة . وأن وجه اتباعه والالتزام به يأتى من بيانه ووضوحه .

٣- أن مخالفة هذه القواعد وما انبنى عليها من طريق واضحة سيوقع المنتهج فى متاهات السير ، وغموضه الناشئ من عدم الاستبانة والوضوح لما فيه من الظلمات والعسرات والكدرات .

فالمنهج فى معناه اللغوى إذن طريقة واضحة تُنتهج وتُسلك ضمن خطط

(١ ، ٢ ، ٣) المعجم الوسيط حـ٢ مادة (ن هـ ج) ٩٥٧ والمجمع اللغوى ط (٢) .

(٤) المائدة : جزء من الآية : ٤٨ .

(٥) المعجم الوسيط حـ٢ ص ٩٥٧ وراجع لسان العرب للعلامة ابن منظور حـ٦ ص ٦٨١ . دار الفكر العربى بدون تاريخ .

مرسومة أو قواعد تتبع ويلتزم بها .

(ب) فى الاصطلاح :

وإذا ماجئنا إلى تعريف المنهج فى الاصطلاح عند علماء علم المنهج سنجد أن المعنى الاصطلاحى للمنهج جاء متفقا مع معناه اللغوى ، غير منفك عنه ، ولا مارق منه .

فالمنهج فى الاصطلاح :

(الطريق المؤدى إلى الكشف عن الحقيقة فى العلوم ، بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على مسير العقل ، وتحديد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة) (١)

شرح مفردات التعريف .

١- يقصد بـ (الطريق المؤدى إلى الكشف عن الحقيقة) : الطريق الذى إذا سلكه الباحث يؤدى به إلى الكشف عن الحقائق ، ولكن يشترط له البيان والوضوح والاستقامة حتى يوصل إلى هذه الحقائق دون خلط أو التباس .

٢- ويقصد بقوله (فى العلوم) أن هذا المنهج منهج عام ينتظم سائر العلوم النظرية والعملية وليس خاصا بمنهج بعينه من مناهج البحث العلمى ، وإن كانت هذه المناهج لا تخرج عن إطاره العام ، وإن تميز بعضها عن بعض بخصائص معينة لتبقى هذه الخصائص تمثل للتعريف الخاص للمناهج المختلفة .

٣- ويقصد بـ (بواسطة طائفة من القواعد العامة) الضوابط التى

---

(١) مناهج البحث العلمى د. عبد الرحمن بدوى ص ٥ وكالة المطبوعات بالكويت ط (٣) ١٩٧٧ .

و (الدليلة) : الدليل الواضح) (١) .

و(الدليل) ما يستدل به و(الدليل) الدال . . . و (فلان يدل بفلان أى يثق به . و(الدل) قريب المعنى من الهدى) (٢) .

تأملات فى هذا التعريف .

من خلال التعريف الاشتقاقى للدليل يتضح ما يلى :

١- أن الدليل يحمل معنى الإرشاد والهدى ، وهو ما يستدل به على شئ على نحو واضح بين .

٢- وأنه استخدم بمعنى ما يوثق به .

وبناء عليه فإن الدليل الواضح البين يكون له أثره المباشر على الوثوق بما دل عليه من أحكام على وجه يتطلب الإرشاد والاهتداء .

فهو يفيد الوثوق بالمعرفة على نحو يقينى ، سواء أكانت مُثْبتة أو منفية ، صحيحة أو خاطئة .

(ب) فى الإصلاح .

أرى أنه من الأفضل أن أسوق تعريف الدليل عند الأصولين فى تعريف الدليل الاصطلاحى لما يلى :

١- أنه تعريف منضبط دون غيره من التعريفات .

٢- أنه هو الذى يتفق مع الدراسة التخصصية الدقيقة للإسلام بوجه عام وشريعته بوجه خاص .

وهذان ما يضمنان إنشاء الدليل على وجه صحيح ، ودقيق من جهة البناء والتخصص العلمى الفائق، مما يضمن له الوصول إلى أحكام صادقة، ونتائج

---

(١) المرجع السابق .

(٢) مختار الصحاح ص ٢٠٩ . مرجع سابق .

علمية قوية وواضحة .

وقد عرفه الأصوليون بأنه : (ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبرى) (١) .

وهذا المطلوب الخبرى عند الأصوليين هو (الحكم الشرعى) (٢) وبناء على هذا القيد يكون عند غير الأصوليين أحكام صادقة ونتائج منضبطة فى سائر العلوم والمعارف .

على أن المطلوب الخبرى ما يقتضى العمل به على وجه ضرورى ، وتقريره : نتيجة صحيحة من نتائج البحث العلمى فى العلوم الدينية النظرية بوجه خاص ، وفيها وفى غيرها بوجه عام

وبهذا التفسير للمطلوب الخبرى يمكن أن يكون أساسا للتفريق بين تعريف الدليل بوجه عام وتعريفه بوجه خاص (الدليل الشرعى) .

على أن التوصل بالدليل إلى المطلوب الخبرى مشروط بأن يكون عن طريق النظر الصحيح ، لأنه الموصل إلى العلم الصحيح ، وينبنى عليه نتائج علمية صحيحة يكون عدم التسليم بها انحراف عن المنهج العلمى الصحيح . أما النظر الخاطئ أو الفاسد فسينشأ عنه أحكام أو نتائج فاسدة غير منضبطة بضوابط الاستدلال الصحيح ، ولا مقيدة بقيودة ، مما يودى إلى الغموض واللبس ، ويوقع فى أخطاء منهجية خطيرة فى مجال البحث العلمى

---

(١) أصول الأحكام للآمدى حـ١٢ ص ١١ نقلا عن الوجيز فى أصول الفقه د. عبد الكريم زيدان ص ١٤٧ مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٧م

(٢) الوجيز فى أصول الفقه ص ١٤٧ وراجع علم أصول الفقة د. عبد الوهاب خلاف ص ٢٠ مكتبة الدعوة الإسلامية ط (٨) ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م

وراجع فى مباحث متعلقة بالدليل الموافقات للإمام الشاطبي المجلد الثانى حـ٣ كتاب الأدلة ص وما بعدها ، وهى مباحث خاصة بالدليل الشرعى . دار الكتب العلمية بيروت . لبنان بدون تاريخ

بشقيه النظرى والعملى .

ولعله يتضح من خلال هذا أن التعريف الاصطلاحى للدليل جاء متفقا مع المعنى اللغوى فى أنه يهدى ويرشد إلى استنباط الأحكام ، وطلب المعارف بطريقة يأنس إليها الباحث ويطمئن لها .

والدليل لا يخلو من أحد أمرين إما أن يكون { نقليا (نصيا) ، أو عقليا (نظريا) } (١) .

على أن صحيح المنقول لا يخالف صحيح المعقول (لأن الأدلة الشرعية لا تنافى العقول ، لأنها منصوبة فى الشريعة لتعرف بها الأحكام ، وتستنبط منها ، فلونافتها لفات المقصود منها ، كما أن الاستقراء دل على جريان الأدلة على مقتضى العقول ، بحيث تقبلها العقول السليمة و تنقاد لمقتضاها طائعة أوكارهة ، و لا كلام فى عناد معاند ولا فى تجاهل متعامٍ) (٢) .

فإذا ما أنشئ الدليل على وجه صحيح محال أن يخالف المعقول و المدرك على وجه صحيح . وهذه قاعدة عامة لا تختص بالدليل الشرعى فحسب ، وإنما تمتد لتشمل الدليل الشرعى بوجه خاص و النظرى و العملى بوجه عام وهذا ما يضبط البحث العلمى ، ويحفظه من التفلت وفق إنشاء الدليل بمحض هوى ، دون اكتراث بكونه معقولا أو غير معقول ، ومقبولا أو مرفوضا .

ثالثا : تعريف الاستدلال .

الاستدلال هو (البرهان الذى يبدأ قضايا يسلم بها ، ويسير إلى قضايا أخرى تنتج عنها بالضرورة دون التجاء إلى التجربة ، وهذا السير إما بواسطة القول أو بواسطة الحساب) (٣) .

---

(١) وراجع الوجيز فى أصول الفقه د. عبد الكريم زيدان ص ١٤٧ مرجع سابق .

(٢) الموافقات للإمام الشاطبى جـ٣ ص ٢٠ مرجع سابق .

(٣) مناهج البحث العلمى . د. عبد الرحمن بدوى ص ٨٢ ، ٨٣ مرجع سابق .

على أن ثَمَّةَ فرقا بين الاستدلال والبرهنة .

فالأول : عملية منطقية ننتقل فيها من قضايا بقطع النظر عن صدقها أو كذبها - إلى قضايا ناتجة عنها .

أما الثانى : البرهنة : فهى أخص من الاستدلال لأنه يشترط فيها التسليم بصدق المقدمات (٢) .

فالبرهنة أدق من الاستدلال لأنها لا تأتى إلا من وجه دقيق هو صدق المقدمات ، وصدق الجزئيات ، وبالتالى ستسلم إلى صدق النتائج والأحكام على وجه دقيق بخلاف الاستدلال الذى تجرى فيه قياسات علمية منطقية لترتيب القضايا على قضايا أخرى على وجه الصدق بعد أن كانت قضية احتمالية يتدرج الباحث من خلالها فى الوصول إلى نتائج علمية تقطع بأحد الوجهين الصحة أو الخطأ .

رابعا : تعريف المنهج الاستدلالى .

وقد عرَّف علماء علم المنهج - المنهجَ الاستدلالىَّ بأنه : (هو الذى نسير فيه من مبدأ إلى قضايا تنتج عنه بالضرورة دون التجاء إلى تجربة) (٣) .

(ويسمى بالمنهج الرياضى أو الاستنباطى (لأنه يقوم على التحليل والتركيب والاستنباط ،إذ أن نتائجه مستخلصة، من مقدمات) (٤) .

أسس المنهج الاستدلالى :

وللمنهج الاستدلالى أسس جوهرية يقوم وينبنى عليها تتلخص فيما يلى .

١ - التعريفات : لأن الباحث الرياضى يبدأ بتحديد معانى الألفاظ المستخدمة فى بحثه ، ويكون التعريف هنا افتراضيا إذ أنه لا يصف حقائق

---

(٢) مناهج البحث العلمى . د. عبد الرحمن بدوى ص ٨٢ ، ٨٣ مرجع سابق .

(٣) المصدر السابق ص ١٨ ، وراجع تطبيق المنهج الرياضى في البحث العمى عند علماء المسلمين د. محمد على الجندى ص ٤٣ - وهو رسالة دكتوراه مطبوعة - دار الوفاء المنصورة ط (١) ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م والمنطق الحديث ومناهج البحث د. محمود قاسم ١٩٦٦م ومحاضرات فى قواعد البحث العلمى د. صفوت شاكر مهنا ص ٢٧ سنة ١٩٩٠م لم يشر إلى دار الطبع .

(٤) المرجع الأخير .

واقعه ، ومن أمثله هذا أن " الواحد " و " الإضافة " فى الحساب يستنتج منها جميع الأعداد .

٢- البديهيات : وهى من الأسس الهامة فى هذا المنهج ، وهى قضايا واضحة وصادقة بالضرورة مقبولة لدى العقل دون برهان ، مثل الكل أكبر من أى جزء من أجزائه ، والكل يساوى مجموع أجزائه) (١) (لأن كل نتيجة تستنبط من مقدمات ، ولما كان من المستحيل الصعود فى سلم الاستنباط إلى مالا نهاية وجب الوقوف عند بعض القضايا التى لا يمكن البرهنة عليها وهى البديهيات) (٢) .

خواص البديهات

يحدد علماء علم المنهج العلمى للبديهيات خواص ثلاث نبينها فيما يلى :

أولا : البيئة النفسية وهى : (وضوحها مباشرة للنفس ، و كونها غير محتاجة إلى دليل ، أو برهان يقام على صدقها ، ولاتثير فى النفس أى تناقض فى معناها) (٣) .

ثانيا : الأولية المنطقية (ويُعنى بها : (كونها مبدأ مستخلصا من غيره بالاستنباط العقلى ، و ذلك لأن العلم الصورى قضاياه تكرارية استنباطية " و العلمية الاستدلالية هنا تتخذ من البديهيات نقطة انطلاق فى استنباط ما يعرف باسم أحكام البداهة " و هى الأحكام التى نقبل صدقها بدون برهنة على ذلك بأى نحو كان) (٤) .

ثالثا : أنها قاعدة صورية عامة لكل العلوم (فلكى نضفى

---

(١) نفس المرجع .

(٢) المنطق وفلسفة العلوم بول موى ترجمة فؤاد زكريا مراجعة د. محمود قاسم ص ١٤٨ القاهرة ١٩٦١م .

(٣ ، ٤) تطبيق المنهج الرياضى عند علماء المسلمين د. محمد الجندى ص ٤٣ ، ٤٤ مرجع سابق . وراجع مناهج البحث العلمى د. عبد الرحمن بدوى ص ٨٩ ، ٩٠ مرجع سابق .

على أى علم من العلوم يقينا يعدل يقين الحساب أو علم الهندسة ، لا نشتغل إلا بالمعانى (الواضحة) (المتميزة) و هى التى مضمونها بديهى تام البداهة ، و أن نرتب جميع معانينا فى نسق خاص) (١)

٣ - المسلمـــات : و هى (القضايا غير المتناقضة التى نسلم جدلا بصدقها مع عدم وضوحها ، لكى نستنتج منها ما تحمل من نتائج . مثل

١- الخطان المتوازيان ، لا يلتقيان .

٢- السطح مستوى (٢).

٣ - يمكن رسم خط مستقيم بين نفطتين .

٤ - يمكن لأى نقطة أن تكون مركزا لدائرة ، وأن يكون نصف القطر فى هذه الدائرة على بعد كما تشاء .

٥ - كل الزوايا القائمة متساوية) (٣) .

و قد تسمى المسلمات مصادرات (٤) .

على أن ثمة فرقا بين البديهيات و المسلمات تتلخص فيما يلى :

١- البديهيات بينة بنفسها ، أما المصادرات فليست كذلك ، و لكن يصادر على صحتها و تسلم تسليما ، مع عدم بيانها بوضوح للعقل ، نظرا لفائدتها ، لأنها لا تؤدى ، أو طالما كانت لا تؤدى إلى تناقض .

٢ - البديهيات قضايا تحليلية ، أما المصادرات فقضايا تركيبية .

٣ - البديهيات : تعبر عن خواص مشتركة بين كل أنواع المقادير ، أما المصادرات فلا تنطبق إلا على نوع من المقادير) (٥) .

---

(١) تطبيق المنهج الرياضى عند علماء المسلمين د. محمد الجندى ص ٤٣ ، ٤٤ مرجع سابق ، وراجع مناهج البحث العلمى د. عبد الرحمن بدوى ص ٨٩ ، ٩٠ مرجع سابق .

(٢) قواعد البحث العلمى د. صفوت شاكر مهنا ص ٢٧ ، ٢٨ مرجع سابق .

(٣ ، ٤) تطبيق المنهج الرياضى عند علماء المسلمين ص ٤٥ وما بعدها .

(٥) مناهج البحث العلمى د. عبد الرحمن بدوى ص ٩٠ ، ٩١ مرجع سابق ، وراجع تطبيق المنهج الرياضى ص ٤٦ ، ٤٧ . مرجع سابق .

وإنما يسلم بالمصـــادرات مع هذا فى البـــحث العلمى ، لأنهـــا يمكن اعتبارها مقدمات تؤدى إلى نتائج ، و إن كانت هذه المقدمات غير واضحة بنفسها وضوح البديهيات ، و لا تخضع لبرهان .

٤ – النظريات : و هى (نتائج لازمة عن المقدمات ، وكل منها معتمد على ما قبله من مقدمات و نظريات) (١) .

وربما غض بعض علمـاء المنهج الطرف عن النظرية و اعـتـبـارهـا من أساسيات المنهج لأنها نتيجة كلية تنفض عن مقدمات صحيحة ، هى ثمرة البحث العلمى و الغاية المرجوة منه .

من ثم يتضح أن عملية الاستدلال عملية تحليل وتركيب : تحليل مقدمات معينة ، وانتزاع عناصر متعددة منها ، ثم تركيبها بمنهج علمى لنبنى بها الأدلة التى توصلنا إلى معلومات ومعارف يكون لها أحكامها الخاصة ، ونتائجها العلمية باتباع القواعد المنهجية للمنهج الاستدلالى .

وأن صحة الدليل تتوقف على صحة المقدمات ، وأن صحة الأحكام تتوقف على صحة الدليل ، وأن صدق النتيجة يتوقف على صدق الحكم .

من ثم يمكن القول بأن صحة المقدمات يودى إلى صحة النتائج ، وأن فساد المقدمات يؤدي إلى فساد النتائج . وصحة النتائج تأتى لصحة إجراء الاستدلال والالتزام بقواعد البحث المنهجى الدقيق .

وفساد النتيجة إنما ينشأ عن الانحراف عن قواعد البحث العلمى ، وعدم الالتزام بالمنهج المتبع فى عملية التحليل والتركيب والاستنباط .

هذا هو المنهج الذى يجب اتباعه فى البحث العلمى فيما يتعلق بعملية إنشاء الأدلة (الاستدلال) للتوصل إلى أحكام ونتائج كلية أو جزئية .

---

(١) محاضرات فى قواعد البحث العلمى د. صفوت مهنا ص ٢٨ .

مدى التزام المستشرقين بالمنهج الاستدلالى فى الدراسات الإسلامية .

إن سؤالا يفرض نفسه هنا وبإلحاح : هل التزم المستشرقون هذا المنهج العلمى فى إنشاء الأدلة وانتزاع الأحكام ، واستخلاص النتائج ، واستنباط القضايا ؟ وما مدى هذا الالتزام ؟ .

وإجابة على هذا السؤال ، ووفق منظور نقدى ورؤية فاحصة لمؤلفات الاستشراق نجد أن كثيرا من المستشرقين ، ولا أقول كل المستشرقين – صيانة للاحتمال – قد خالفوا المنهج العلمى الواجب اتباعه فى الدراسات النظرية بوجه عام فيما يختص بالقضايا الإسلامية فضربوا بقواعده عرض الحائط ، ولم يعيروا للأسس التى قام عليها انتباها ، فثاروا على أصول الدين وقواعده التى صارت لثباتها ورسوخها ثوابت ، وبديهيات لا يعوزها الدليل ، ولا تفتقر إلى برهان ، وثاروا على التعريفات فحطمواقيودها ، وقيدوا مطلقها واستبدلوا بهذه البديهات والثوابت والتعريفات التى اختصت بها القضايا الإسلامية أمورا أخرى ، وتجاهلوا كثيرا من النتائج الكلية والجزئية التى قررها المنهج الإسلامى والتزم بها علماء المسلمين فى البحث العلمى ، بل إنهم جعلوا هذه النتائج فضلا عن خصائص الأدلة التى تتميز بالإلهية والربانية وكثيرا من قضاياه العقدية ، وخاصة قضايا النبوة جعلوها خاضعة للتجريب .

كل ذلك وفق بدُيهيات ومسلمات وتعريفات ونظريات استشراقية تتناقض فى كلياتها مع نظيراتها فى المنظور الإسلامى فى أحيان ، ومع جزئياتها فى أحيان أخرى .

وقد استعاض كثير من المستشرقين بهذه القواعد التى استحدثوها قواعد

المنهج الاستدلالى كمنهج متبع من مناهج البحث العلمى بوجه عام ، والمنهج الاستدلالى الإسلامى بوجه خاص مع ما بينها من تناقض وتضارب ، وجعلوها أساسا لتكوين التصورات وإنشاء الأدلة واستنباط النتائج والأحكام ، غير عابئين بهذا التناقض والتنافى والتعارض والتضارب !!

لأنهم أرادوا تجريد الإسلام من خصائصه وتفريغ جوهره من الحسن والقيمة ، لأن المفاهيم الإسلامية الحقيقية لا تسعفهم فى بناء تصوراتهم الخاصة ووجهات نظرهم حول الإسلام إن هم اعتمدوا عليها اندفعوا إلى مخالفة قواعد المنهج الاستدلالى فى محاوله لإثبات هذه الرؤى والتصورات الموجهة ، والمحكومة والمغرضة .

من ثم قدموا الأحكام على الأدلة ، والنتائج على المقدمات ، وافترضوا الأدلة فى أحيان وانتحلوها فى أحيان أخرى ، و تصيدوا الضعيف و الشاذ منها ، و أغفلوا الأدلة الصحيحة و أسقطوها ، و اعتمدوا على الاستنتاج الخاطئ ، و عمموا الأحكام ، و خلطوا قصص القرآن الكريم بالأدب الشعبى فبلغوا من الإغراب منتهاه !!

وغير هذا مما سنبينه فى بحثنا هذا بمشيئة الله تعالى .

ولكى يتحقق لهم هذا تحكموا فى مصادر الاستدلال ، واعتمدوا مادة الاستشراق مصدرا أصيلا من مصادر البحث بما فيها من اضطراب وتناقض وتناف وتضاد .

من ثم وقعوا فى أخطاء منهجية كثيرة تمثلت فى اتجاهين :

- **الاتجاه الأول :** خطأهم المنهجى فى اختيار مصادر الاستدلال .
- **الاتجاه الثانى :** خطأهم المنهجى فى طبيعة الاستدلال .

فهل نتعامل مع هذه الأخطاء المنهجية على أنها مجرد أخطاء فحسب أم

نتعامل معها على أنها قواعد منهجية فى الاستدلال وضعها المستشرقون لأنفسهم ؟

وإجابه على هذا أقول :

إننا ننظر إليها من وجهة نظر واضعيها على أنها قواعد منهجية مثلى فى الاستدلال فى الدراسات الإسلامية ، ونقدها،ونسلم لهم جدلا بذلك ، ثم نخضعها لقواعد النقد العلمى الصحيح لننظر مدى خطئها من عدمه .

وعندما نقرر أنها أخطاء منهجية فادحة فى الاستدلال فذلك يكون من وجهة نظرنا نحن النقدية الموضوعية المنضبطة بتلك القواعد المتبعة فى النقد العلمى الموضوعى ولا يضيرنا ألا يرتضيها المستشرقون كما لا يغنينا ارتضاءهم لها ، ولكن اتباع قواعد الاستدلال الصحيحة هى التي تضمن للبحث العلمى نزاهته وحيدته إن أرادوا لها فى مجال البحث العلمى قيمة ذاتية ، ورأيا يقدر ، ونتيجة يُقَربها ، وتصور يحترم،على أن من المستشرقين من اعتدل نتاجه نسبيا إذا قورن بنتاج ضربائه من المستشرقين لا بقياسه بمقاييس إسلامية منهجية صحيحة . وقد اعتمدنا على آرائهم وتصوراتهم المعتدلة نسبيا عن الإسلام فى الرد على ذويهم وضربائهم من أبناء جلدتهم وبني ملتهم حتى يكون أمعن فى الرد ، وأقوى فى النقد من باب " وشهد شاهد من أهلها " .

وهذا ما سنوضحه فى صفحات هذا البحث بمشيئة الله تعالى .

سادسا : مفهوم الدراسة النقدية

يتضح مفهوم الدراسة النقدية ببيان مفهوم النقد فى اللغة وعند علماء البحث العلمى والأدبى .

أولا : مفهوم النقد فى اللغة

يدور المفهوم الاشتقاقى للنقد فى اللغة حول عدة معان من بينها ما يلى

١- تمييز الجيد من الردئ.

٢- إظهار ما فى الشئ من عيب أو حسن .

٣- بيان مظاهر الفساد التى تقع فى شئ ما .

٤- بيان الصحيح من الزيف . هذا إلى جانب معان أخرى .

فقد جاء فى المعجم اللغوى : (نقد) الشئ - نقدا : نقره ليختبره أو ليميز جيده من رديئه . يقال نقد الطائر الفخ ، ونقدت رأسه بإصبعى ، ونقد الدراهم وغيرهما نقدا ، وتنقادا : ميز جيدها من رديئها . ويقال : نقد النثر ونقد الشعر : أظهر ما فيهما من عيب أو حسن ، وفلان ينقد الناس : يعيبهم ويغتابهم و(نقد) الشئ - نقدا : وقع فيه الفساد (...) (ناقده) : ناقشه فى الأمر ، و(الناقد الفنى) : كاتبُ عمله تمييز العمل الفني جيده من رديئه، وصحيحه من زيفه (...) و (النقد) فن تمييز جيد الكلام من رديئه ، وصحيحه من فاسده)[1] .

وهكذا يدور المعنى الاشتقاقى للنقد حول المفاهيم الأربعة المشار إليها آنفا والتى ينتظمها محوران هامان هما :

المحور الإيجابى .

والمحور السلبى .

---

(١) المعجم الوسيط حـ٢ ص ٩٤٤ .

ثانيا : فى الاصطلاح :

جاء فى التعريف اللغوى للنقد أنه : (فن تمييز جيد الكلام من رديئه ، وصحيحه من فاسده) .

على أن المجمع اللغوى حاول إدخال بعض المعانى الاصطلاحية المعاصرة للاصطلاحات المستحدثه ضمن الإطار اللغوى الاشتقاقى.

وهذا المعنى ينطبق تمام الانطباق على المفهوم النقدى الذى نريد تحريره ، والمتبع فى نقد النص والتوثيق بعد الانتقاء والتحليل . ولكنه ليس منضبطا بقاعدة تحكم التعريف ، وتضفى عليه المنهجية .

ولإزالة هذا الإشكال أرى أن يضاف إلى هذا المعنى اللغوى قيدا اصطلاحيا يضبط عملية النقد .. هذا القيد هو : (طبقا لقواعد منهجية معينة) وبناءاعلى هذا يكون التعريف الصطلاحى للنقد :

(فن تمييز جيد الكلام من رديئة ، وصحيحه من فاسده طبقا لقواعد منهجية معينة تضبط عملية النقد) .

من ثم يكون هناك انسجام تام بين التعريف الاشتقاقى والاصطلاحى لمصطلح (النقد) .

وأرى أن العملية النقدية مفاعلة بين طرفين :

الطرف الأول : الأفكار (١) التى تبحث لنفسها عن مكان فى الساحة الفكرية تتطلع إلى الخلود والتواصل ، أو يبحث لها أصحابها عن ذلك .

أما الطرف الثانى : فيمثله الناقد الذى جاء ليبين مدى أهلية هذه الأفكار لهذا التواصل والخلود . هل هى جديرة فعلا بذلك . أم أنها تنطوى على عناصر تشوب جوهر المعانى ؟ أم أنها صافية لا تنطوى على عناصر

---

(١) وهى من أقسام النقد الباطنى أو الداخلى . وسوف نتحدث عن هذا فيما بعد بمشيئة الله تعالى .

رديئة أو فاسدة أو مزيفة أو معيبة ؟

من ثم فإن القراءة النقدية – كما يرى بعض النقاد – [١] : (حوار بين خطاب نقدى يريد الكشف والتوضيح بعيدا عن القوالب الجاهزة ، والأحكام المسبقة – وخطاب أدبى يريد أن يحيا ويتبدى ويتواصل) .

والحركة النقدية تتنوع بتنوع اتجاهات النقاد ، وتختلف باختلاف مشاربهم ، من ثم يكون النقد فكريا إذا كان الناقد مفكرا ، وسياسيا إذا كان الناقد سياسيا ، واقتصاديا إذا كان الناقد اقتصاديا ... الخ .

فاتجاه الباحث هو الذى ينوع النقد على نحو ما سبق على أن يكون لكل نوع من أنواعه موضوعه الذى يخصصه ، وهويته التى تميزه عن غيره .

مرتكزات العملية النقدية .

أرى أن العملية النقدية يجب أن تعتمد على المرتكزات التالية :

أ ـ الموضوع : ويكون متنا أو فكرة .

ب – الانتقاء .

حـ – التحليل .

د– التنظير واتخاذ القرار .

هـ – التركيب .

أولا : الموضوع .

لابد للناقد من أن يحدد الموضوع الذى يتوجه إليه بطاقاته النقدية ، وقدراته المنهجية حتى يحصر التفكير الذهنى فى دائرة محدودة ، وحتى لا

---

(١) د. حسن ظاظا فى تقديمه لترجمة كتاب مدخل إلى مناهج النقد الأدبى تأليف مجموعة من الكتاب ترجمة د. رضوان ظاظا مراجعة د. المنصف الشنوفى . والنص للدكتور ظاظا فى تقديمه للترجمة ص ٨ عالم المعرفة . الكويت ذو الحجة ١٤١٧هـ – مايو / أيار ١٩٩٧م .

ينصرف بالقارئ إلى قضايا لاتمت إلى موضوع النقد فتحدث عمليات انفصام متكررة بين ذهنه وبين هذا الموضوع . فالنقد عملية كشفية توضيحية والانصراف عن الموضوع يلقى بالقارئ فى متاهات ينشأ عنها اغتراب ، يسلمه هذا الاغتراب إلى ملابسات ، واختلاط يلقيان به فى غموض نسبى أو مطلق .

ثانيا : الإنتقاء :

وهو عملية يعتمد فيها الناقد على انتقاء مادته النقدية – والتى يعتبرها – وتخير مواطن النقد ، إذ ليس كل ما يكتب يكون بتفصيلاته موضوعا للنقد . موضوعا للنقد .وإلا سنكلف أنفسنا مشاقا يصعب بعد ذلك علينا تحملها ، ويصعب على أى ناقد أن يخوض غمارها .

فالانتقاء إذن يركز على أبرز العناصر التى يمكن أن تكون مادة ثرية بالرؤى والتصورات النقدية . مما يكون له أثره الفعال فى تفعيل العملية النقدية وإثرائها .

ثالثا : التحليل :

وهو عملية يحلل فيها الناقد القضايا الكلية للنص (موضوع البحث) ويردها قضايا جزئية من جهة ، وإلى عناصر الفكرة الأولية من جهة أخرى حتى يتمكن من عرضها على منضدة التشريح (النقد)

رابعا : التنظير واتخاذ القرار :

وهو عملية يقوم الناقد فيها بعقد مناظرات أو مقارنات بين عناصر الأفكار (موضوع النقد) المُضَمَّنة للنص وبين عناصر ذات الفكرة فى المحيط الخارجى أو الوسط الأصيل الذى تنتمى إليه هذه الأفكار ليَنظر مدى انطباق الأولى على الثانية ، ويحدد المفارقات ، والمقاربات ونقاط الاختلاف

والالتقاء وفى ضوء هذا يتخذ القرار بإيجابية هذه الأفكار أو سلبيتها .

خامسا : التركيب :

وهو عملية تتبع اتخاذ القرار .. وتعنى تجميع عناصر الأفكار وانتزاع أجزاء الدليل لتركيبها وصياغتها بصيغة نهائية فى صورة نتائج كلية عن الأفكار أو النص (موضوع النقد) إيجابية أو سلبية .

وتعتبر عمليتى التحليل ، والتركيب ملاك الحركة النقدية فبهما يتم تحليل العناصر (موضوع النقد) ثم تركيب عناصر أخرى مطابقة أو مخالفة .

روافد النقد .

تستمد الحركة النقدية قوتها من أمرين :

أولهما : ضعف النقد التكوينى (١) بمعنى ضعف المادة العلمية الناجم عن رداءة الانتقاء ، وعدم التثبت من النصوص ، مما جعلها تبدو بصورة مضطربة أو ضعيفة تتقاصر عن التعبير عن التفكير العلمى على نحوجاد.

فقوة النقد وثرائه يتناسب تناسبا عكسيا مع قوة النقد التكوينى للبحث فكلما ازاداد ضعف النص واضطرابه كلما ازدادت قوة النقد ، والعكس .

ثانيهما : قوة الملكة الناقدة والقدرات الذهنية للناقد :

فطالما يتمتع الناقد بملكة قوية ، وقدرات ذهنية ، ومرجعية ثقافية علمية عن موضوع النقد كلما كان أثرا مباشرا لإثراء الحركة النقدية،وتفعيل دورها .

---

(١) يقصد به عملية الانتقاء النصية للباحث فى مراحل تجميع المادة العلمية وقد عقد بيرمارك روبيازى عن النقد التكوينى فصلا ضمن كتاب مدخل إلى مناهج النقد الأدبى ص ١٥ – ٥٨ مرجع سابق .

وتبلغ العملية النقدية الذروة فى النجاح عند ما يتوفر الأمران معا . وتقل عندما يبلغ النقد التكوينى للمادة العلمية درجة بالغة فى الرصانة والدقة عن طريق الانتقاء الدقيق والجيد للنص بينما تفقد الملكة الناقدة للناقد قوتها ، وتتقاصر قدراته الذهنية عن إدراك مثارات النقد .

فعملية النقد شاقة للغاية ، وتفتقر إلى يقظة العقل الواعى والمدرك ، ويقظة الوجدان لتكوين طاقة فكرية نقدية خلاقة .

ضوابط العملية النقدية .

إن العملية النقدية أكثر من غيرها تفتقر إلى ضوابط قوية تضبط مسيرتها وتحفظها من الأنزلاق وراء تخرصات أو تهكمات أو تحكمات النقاد ، لأنها عملية اختبار للنصوص والآراء والتصورات وفقا لنظام متقن بديع يتمخض عنها نتائج وأحكام علمية تفرض نفسها على الواقع الفكرى ، وتستدين العقول ، وتستجلى الأذهان وتستفتح الآفاق ،

وطبقا لهذا الاختبار الدقيق تحيا الأفكار أو تموت ، وتتواصل أو تندثر ، وتنفتح على الآفاق أو تنغلق على نفسها ، وتتسع مجالاتها أو تتقوقع فى أُطُرها الضيقة ، فلا تجرؤ أن تشرئب نحو أضواء النقد فضلا عن أن تمكث فى سمائه ، وتصمد تحت شمسه راسخة وضيئة . ولهذا وصف بعض النقاد العملية النقدية بأنها (مغامرة محفوفة دوما بالمخاطرة) (١) .

من ثم فلا مناص من وضع ضوابط دقيقة تضبط الحركة النقدية وتخضعها لمنهج علمى قوى .

لذا ارتأيت أن أُقعِّد للنقد بهذه القواعد الآتية:

---

(١) مدخل إلى مناهج ، النقد الأدبى ص ١٣٨ مرجع سابق .

١ - الموضوعية :

إن الموضوعية قاعدة رئيسة وضرورية وفعالة للعملية النقدية ، فالناقد يجب أن يبدأ من النص وينتهى عنده ، لا من منطلقات بعيدة وأفكار نائية عن مواطن النقد يخلعها الناقد على مثارات نقد يعتورها الشطط أو التكلف ، ويستقيها من معين خيال ثرى أو ناضب ، مما ينزع بالناقد إلى **اللاواقعية واللاموضوعية** ، الأمر الذى يجعل العملية النقدية معقدة ومركبة تركيبا عقيما يتناقض عند تحليل عناصره ورده إلى قضاياه الأولية ، وخطواته الإجرائية ، ويتداعى أمام قياسات الموضوعية الدقيقة بما يكتفه من غموض وخلط يجعله يتقاصر عن مميزات النقد وخصائصه ، ويتناقض مع أصوله وقواعده . هذا من جانب

ومن جانب آخر فإن دلالة الموضوعية الاصطلاحية : (التجرد عن المؤثرات الذاتية) (١) .

ولهذه الدلالة أهميتها الكبيرة حيث ترتقى بالبحث النقدى بوجه خاص ، والعلمي بوجه عام فوق أى مؤثرات ذاتية للناقد والباحث على السواء .

٢- الأمانة فى العرض والتناول .

لا مرية أن الأمانة العلمية تمثل دورا أساسيا وكبيرا فى ميدان البحث العلمي بوجه عام ، والبحث النقدى بوجه خاص ، فهى التى تضمن للعرض أن يكون صادقا وأمينا ، وأن يكون جادا لا هزل فيه .

والناقد يركز على عرض الآراء محافظا على ذاتيتها وجوهرها ، وما

---

(١) منهج كتابه التاريخ الإسلامى وتدريسه أ . محمد صامل السلمي ص ١٢٥ وما بعدها دار الوفاء المنصورة ط (١) ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .

تتضمنه من قيم ومبادئ وقضايا بقطع النظر عن صحتها أو فسادها دون أن يُسلط عليها أفكاره ورؤاه النقدية ، ثم يشرع فى توضيح النقد ، وإبراز ما تحتويه من إيجابيات أو سلبيات .

وهنا له أن يخضع هذه المثارات لرؤاه النقدية الفاحصة ، واستنهاض قدراته النقدية ومعرفيته العملية كخلفية مرجعية ينطلق من ثوابتها ، ومسلماتها وبديهياتها ونظرياتها لتمثل عناصر قوية للكشف والإحاطة بالعناصر النقدية الكامنة أو البارزة فى تلك المثارات النقدية وأصول قوية للاختبار بعيدا عن الاندفاع والتحكم .

(فالناقدُ قاض فى ميدان البحث العلمى ، ويجب أن يكون أمينا) (١) .

وإذا ما تجرد الناقد من هذه السمة وتجرد النقد من هذه القاعدة المنهجية جاءت نتائجه العلمية خاطئة وجاءت نظرته النقدية لتتقاصر عن إدراك مثارات النقد ، ومضامين الرؤى النقدية الأمينة السليمة ، ولتدفع الناقد إلى التكلف والشطط ، مما يفقد رؤيته النقدية قيمتها العلمية والأدبية .

٣- النزاهة فى النقد .

ويوجب المنهج النقدى على الناقد أن يكون نزيها فى الحكم على الآراء والتصورات التى هى مثار النقد ، فلا يكون اندفاعيا فى حكمه ولا يحكم بالتشهى ، ولا يرفع لواء الهوى فى ساحة النقد ، فكل ذلك يذرى بقيم النقد وأسسه ومبادئه وأهدافه وغاياته ، ويجعل النص غرضا مطلقا ، وآراء الغير موضعا للتهكم ، ولو كانت لا تحمل شارات القصور أو الفساد ، بل تعالن

(١) التفكير العلمي . د. فؤاد زكريا ص ٢٧٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب ضمن مشروع مهرجان القراءة للجميع لعام ١٩٩٦م بتصرف .

بشارات الصحة ، وآيات المنطق السليم والنظر الدقيق ، وتستجمع عناصر الحكمة والبيان .

فالنقد ليس تهجما قاسيا بدون علة ، ولا رأيا بدون دليل ، ولا نظرية بدون برهان ، فالناقد يبحث عن العلل ويقيم الأدلة والبراهين على صحة رؤاه النقدية عندما تختمر فى ذهنه فِكَرُ النقد ، وتكتمل عناصر تلك الرؤى ، ولا يصدر هذه الرؤى مجردة من ضوابط النقد وخصائصه المنهجية ، وإلا فهى لا تعدوا أن تكون وجهات نظر تتقاصر عن إدراك المضامين النقدية الصحيحة وتتقاعس عن البحث والتحرى والتدقيق لإبراز مواطن الاتفاق ومظان الاختلاف ، بعيدا عن دائرة التحكم ، وسيادة منطق الهوى ، وال(أنا) النقدية .

وهذا يعنى أن صاحب هذه الرؤى النقدية يعمل جاهدا على إزاحة طرائق الإقناع من ساحة النقد أو إقصائها أو إغفالها ، ويقضى على كل مذهب يجعل الأدلة والبراهين شرطا منطقيا يجب التزامه عند الشروع فى إبداء التصورات النقدية ، وإصدار الأحكام على الآخرين .

وليس بخاف أثر هذه المنهجية غير المنضبطة على الحركة النقدية بوجه عام ، وما يتمخض عنها من رؤى وتصورات ونتائج وأحكام .

أما التجرد من الهوى والتمحض للموضوعية (هو الذى يجعل العلم يلجأ إلى وسيلة وحيدة للإقناع : هى الدليل والبرهان الموضوعى . وقد يتخذ هذا البرهان شكل إجراء تجربة تثبت المبدأ العلمى الجديد على نحو حاسم ، أو يتخذ شكل تدليل منطقى قاطع ، ولكنه فى كل الحالات برهان يفرض نفسه علي أى ذهن لديه القدرة على فهم الموضوع واستيعابه) (١) .

---

(١) التفكير العلمى د. فؤاد زكريا ص ٢٧٧ مرجع سابق .

من ثم تحتم على الناقد أن يزيح كل دوافع الـ (أنا) ويجنبها آراءه النقدية ، ويعتمد طريق الإقناع فطنا لشروطه وقواعده ، لكى تتحقق النزاهة فى النقد وليكون موضوعيا .

مبنى النقد

لا يمارى أحد فى أن النقد مبناه العقل ، فهو الذى يوجه الناقد إلى مثارات النقد ومواطن القصور والخطأ ليجعل منها مادة نقدية تثرى الحركة النقدية وتدفعها دفعا إلى الأمام .

وكمال النقد مقيد بكمال الإدراك ويقظة العقل ، وحدة الذكاء ، وحضور البديهة ، وهذا ما يضمن للنظر العقلى السلامة والدقة فى المعالجات النقدية .

فالعقل هو المحرك الأساسى للحركة النقدية عبر التاريخ ، وبدون عقل منضبط لا يكون هناك نقد منضبط .

من ثم لم يكن النقد متوافرا لكل المفكرين بدرجة واحدة ، وإنما كان هناك تفاوتا فى قوة الرؤى النقدية بتفاوت العقول والقدرات الذهنية ، وهذا سر النبوغ والتفوق فى ميدان النقد كحركة فلسفية تميز بين الصحيح والخاطئ والغث والسمين ، والجيد والردئ .

فكل قاعدة نقدية تنبثق عن العقل ، وعن انفتاق ذهنى معرفى فلسفى يؤسس للنقد ويثريه ، ثم يخضع النقد بعد ذلك طبقا للقواعد المنهجية المنضبطة وللمرجعية الدينية والفكرية الصحيحة والكاملة .

ونحن بهذا وإن كنا نبدأ بالعقل فإننا لا نقدمه على النص (١) وإنما نجعله محكوما به ، وقد بدأنا هنا به لأنه وسيلة للمعرفة النقدية ، ولأنه لا نقد بدون

---

(١) على أننا إذ نقرر العقل مبني للنقد لانذهب مذهب ابن رشد ولا غيره من الفلاسفة الذين قدموا العقل على النص ، وجعلوه ركيزة من ركائزهم المنهجية .

فقد قال عنه النقاد : (إن منهج النقد في فلسفة هذا الفيلسوف كان قائما على أساس تمسك ابن رشد بالعقل ، وإعلاء كلمته فوق كل كلمة) بحث للدكتور محمد عاطف العراقى بعنوان الحسن النقدي عند الفيلسوف ابن رشد . بمجلة عالم الفكر ص ٦٨ تصدر عن المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت . م (٢٧) ع (٤) إبريل / يونيو ١٩٩٩م .

عقل ، لأن العقل هو الذى يميز بين الأضداد والمتناقضات والمتنافيات ، وهو يدرك معنى القبح ومعنى الحسن ، ومعنى الكمال والقصور ، والقصد والتطرف . من ثم يحكم باستقامة الأفكار أو انحرافه ، وبصحتها أو خطئها ، ثم ينشئ الأدلة والبراهين التى تؤكد هذا أو ذاك .

من ثم مايز النقْدُ الجدلَ ، **فالنقد قائم** على المنطق القويم (والمنطق بحث عن الحقيقة من طريق النظر المستقيم والتمييز الصحيح ..

أما الجدل فبحث عن الغلبة والإلزام بالحجة ، قديرمي إلى الكسب والدفاع عن مصلحة مطلوبة ، وقد يتحرى مجرد المسابقة للفوز على الخصم وإفحامه فى مجال المناقضة واللجاج) (١) .

فالنقد لا يهدف إلى الغلبة ، وإنما إلى التمييز والتصحيح ، وبيان المحاسن والمعايب من المعانى ، والردئ والجيد من الأفكار والتصورات ، وهذا لا يتأتى إلا من العقل .

أقسام النقد :

يقسم علماء علم مناهج البحث العلمى النقد إلى قسمين :

أولهما : النقد الخارجى .

ثانيهما : النقد الداخلى .

أولا : النقد الخارجى : (ويطلق عليه نقد التصحيح ويشتمل على ثلاث عمليات هى تصحيح النصوص ، ونقد المصدر ، وجمع الوثائق المحققة وترتيبها .

فالأولى: تسمى نقد التصحيح،أو نقد الاستعادة،أى للوثائق والنصوص .

والثانية: يقصد بها معرفة مؤلف الوثيقة ، ومصدر المعلومات الواردة

---

(١) التفكير فريضة إسلامية . العقاد ص ٢٦ نهضة مصر . بدون تاريخ .

فيها وتاريخها ، وتفحص أساليبها وتراكيبها اللغوية وطرق صياغته والثالثة تسمى نقد التحصيل - جمع الوثائق) (١)

ثانيا : النقد الداخلى : يعنى به الخطوة الحقيقة فى عملية النقد ويسمى (النقد الباطن أو النقد العالى " **التحليل والتركيب** " ويقصد بهذه العملية بيان المقاصد .. ومعرفة صدق الروايات والنصوص) (٢) .

ولا تخلو حركة نقدية من أحد هذين القسمين أو منهما معا ، وهما عمليتان متتامتان متكاملتان ، ومتلازمتان عندما يقتضى الأمر تلازمهما .

وغالب اعتمادنا فى حركتنا النقدية لمنهج المستشرقين الاستدلالى على النوع الثانى ، وهو نقد المصدر لأن المستشرقين لا يُعْنَوْنَ بالأسانيد ، ولا يقيمون لها فى منهجهم الاستدلالى وزنا ، وتركيزنا فى نقد منهجهم هذا إنما يعتمد على نقد المصدر بما يشتمل عليه من مضامين وأهداف وغايات استدلالية معتمدين عمليتى التحليل والتركيب .

من خلال ما سبق يتضح لنا أن النقد حركة إيجابية تهدف إلى تصحيح المسار ، وتصحيح المضامين ، وتمييز الخبيث من الطيب ، والصحيح من الخاطئ ، والجيد من الردئ ، والقوى من الضعيف ، والحسن من القبيح ، وإن شئت فقل عملية تمييز مطلق بين الأضداد الإيجابيات والسلبيات .

(على أن الناقد يعالج الحالات الإيجابية والسلبية معا : إذ أن مهمته ليست إبراز العيوب فحسب ، بل وامتداح المزايا أيضا) (٣) .

وأود أن أنوه إلى أننى قد ركزت هنا فى نقد منهج المستشرقين

(١ ، ٢) منهج كتابة التاريخ الإسلامى محمد بن صامل السلمى ص ١٤٥ - ١٤٧ مرجع سابق ومناهج البحث العلمى د. عبد الرحمن بدوى ص ١٨٨ - ٢٠٤ وراجع تفصيلات أخرى فيما بعدها . مرجع سابق .

(٣) التفكير العلمى د. فؤاد زكريا ص ٢٧٤ مرجع سابق .

الاستدلالى على نقد السلبيات وإبرازها لأمرين :

أولهما : لأنها تمثل كثرة طاغية فى مناهج المستشرقين الاستدلالية فى عرض القضايا الإسلامية .

ثانيهما : لأن الإيجابيات فى هذا المنهج جاءت لتتضاءل أمام طغيان السلبيات ، وهى - أى الإيجابيات - تمثل النزر اليسير فى منهج المستشرقين الاستدلالى ، وهى شذوذ عن الأصل ، واستثناء من القاعدة ، والشاذ لا يقاس عليه ، والاعتماد على الاستثناء ضعف فى النقد ، وإجداب له .

ولا يعنى هذا أننى أهملت الإيجابيات أو تغافلتها مطلقا ، وإنما اكتفيت بالاستشهاد بها فى النقد فى ثنايا البحث ليكون أمعن فى النقد وآكد فى التمييز .

ولم أندفع إلى هذا عن هوى ، أو مخالفة للضمير النقدى ، وإنما دفعنى إلى هذا الحقيقة العلمية النقدية الكائنة فى منهج المستشرقين الاستدلالى ، والتى جاءت لتفرض نفسها على واقع الدراسة النقدية بقوة وبإلحاح .. إذ ليس للإيجابيات بجانبها وزن ، وليس لها بإزائها قدم تقوم عليها ، ولا جذور تجعلها تقاوم هذا المنهج الطاغى فى الاستدلال ، فضلا عن أنها غير معترف بها من أصحاب هذه الكثرة الطاغية من المستشرقين ، والتى مثلت الجانب السلبى فى المنهج الاستدلالى الاستشراقى .

فيعلم الله تعالى - وسيلمس القارئ - أننى التزمت الموضوعية التامة ، والنزاهة الكاملة والأمانة الصادقة فى عرض خصائص هذا المنهج دون

تكلف ، أو اندفاع بهوى ، ودون تعصب لرأى إلا ما كان متمحضا للحقيقة العلمية والقواعد المنهجية التى يجب اتباعها فى اختيار مصادر الاستدلال وإنشاء الأدلة فى المنهج الاستدلالى بوجه عام .

الباب الأول

أسس اختيار مصادر منهج المستشرقين الاستدلالى

الفصل الأول

اعتبار المستشرقين القرآن الكريم كتابا تاريخيا

الفصل الأول

اعتبار المستشرقين القرآن الكريم كتابا تاريخيا

تمهيد :

لم يكن تهافت المستشرقين فى منهجهم الاستدلالى قاصرا فقط على طريقة إنشاء الدليل وتركيب أجزاءه المنتزعة فى الأعم الأغلب بعفوية واعتساف وتصيدا وانتصارا للمقدمات والأطروحات الاستشراقية حول قضايا الإسلام الأصيلة وما تفرع عنها من أصول وقواعد ومبادئ بطريقة غير علميه ولا موضوعية .

إنما كان تهافت منهجهم فى الاستدلال متعديا إلى مصادر استقاء الدليل وإنشائه ، فقد صرفوها عن طبيعتها ، وطوعوها لفهومهم ، وجردوها من خصائصها وسماتها .

ولأنهم رأوا أن إنشاء الدليل على صحة آرائهم وتصوراتهم المطروحة حول قضايا الإسلام لا يتأتى إلا بوضع هذه المصادر الإسلامية فى منظور استشراقى خاص بها ، فقد وقفوا منها هذا الموقف .

ولا مرية أن هذا فى حد ذاته إفلاس فى الاستدلال لدى المستشرقين ، وأنهم رأو أن المصادر الإسلامية ما أبقوها على طبيعتها وقيمتها المرجعية لاتسعفهم فى هذا الصدد .

ومن ركائز الاستشراق المنهجية فى اختيار مصادر الدليل ما يلى :

- نظرهم للقرآن الكريم على أنه كتابٌ تاريخى .

من الأخطاء المنهجية فى ميدان البحث العلمى فى الوسط الاستشراقى الأكاديمى أن المستشرقين ينظرون إلى القرآن الكريم نظرة تغاير طبيعته وتتجافى مع روحه الدينية ، وتقلل من اهميته ككتاب إلهى يرسى قواعد

الاعتقاد الصحيح والتشريع القويم ، ويضع للبشرية منهاجا تهتدى به ، ويخرجها من الظلمات إلى النور ، وينقذها من تخبط الاعتقاد ، واتباع نظم منبثقة عن أصول دينية محرفة ، أو نظم لا تعدو كونها نتاج قريحة بشرية كليله ، ورؤية قاصرة .

فينظرون إليه على أنه كتاب تاريخى يؤرخ لأحداث التاريخ ومواقفه وشخصياته الفذة وعباقرته الذين تركوا تراثا قامت عليه حضارات ودول!!

ومن هؤلاء المستشرقين فرانك هـ . فوستر الذى نظر إلى القرآن الكريم من خلال منظوره الخاص لطبيعة مصادر الدليل على أنه كتاب تاريخى ، ويحتكم إليه وحده فيما يتعلق بالسيرة الذاتية لرسول الله ﷺ مدعيا أن الاعتماد على غيره من المصادر غير جائز علميا بزعم أنه لم يُكتب فى حياته ﷺ .

يقول : (إن الكتابة الوحيدة التى وصلتنا من محمد فى تاريخ حياته هى ما جمع منها فى القرآن الكريم ، وهى وإن كانت غير مستوعبة لجميع ما تجب معرفته عنه فقد جمعت الكثير من حوادثه . والقرآن هو المصدر الوحيد الذى يصح الاعتماد عليه فيما نحن بصدده أما التواريخ العديدة التى كتبت بعده بقرون كثيرة بأقلام كتاب متحيزين فليست لها قيمة فى نظرنا) (١).

خطورة هذا المنهج الاستدلالى فى البحث العلمى .

١- لا مرية أن لهذا المنهج خطورته البالغة على نتائج البحث العلمى ،

---

(١) مقالة للمستشرق فرانك فوستر بمجلة العالم الإسلامى الصادرة بالولايات المتحدة الأمريكية نقلا عن مجلة الأزهر المجلد السابع ١٣٥٥هـ ص ٣٥١ وما بعدها .
وقد أورد هذه المقولة د. محمد رجب البيومى فى كتاب مناقشات وردود للكاتب الإسلامى محمد فريد روحدى ص ٦٧ . الدار المصرية اللبنانية ط (١) ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ولم يذهب فى تصنيفها إلى التصنيف الذى قصدناه .

وإعلان صارخ قبل البدء فى بحث قضية ما ، بل منذ أن كانت فكرة لم تختمر فى عقل المستشرق بالتحكم فى اتجاهات البحث ، وتطويعه لخدمة أهداف معينة ، ولتأييد نتائج مسبقة ، لأنه يحدد من خلال منظور خاص ماهية المصادر ذات الصلة بموضوع البحث المثار ، والتى من المفترض – طبقا لما يقتضيه البحث العلمى – أن يعتمد عليها ويستعين بها فى حل مشكلات بحثه !!!

٢- إن هذا المنهج الخاطئ حول طبيعة مصادر البحث يفرض على المستشرق أن يستنطق القرآن الكريم بتفصيلات فى مجال التاريخ هى بعيدة كل البعد عن طبيعته ، وليست موضع اهتمامه ، ولاغرضا من أغراضه بل إن القرآن الكريم عندما ذكرها أو أشار إليها لا يهدف التأريخ لها – قد تعمد إسقاط هذه التفصيلات التاريخية – فى قصصه – لأنها لا تفيد فى شئ ، فضلا عن أنها تتنافى مع طبيعته ككتاب إلهى دينى ، واستبقى من بعض تفصيلات التاريخ لقصص الأنبياء وغيرهم بعض العناصر المتعلقة بقضايا الاعتقاد والتشريع والأخلاق .

وذكره لهذه التفصيلات كان قيد المنفعة ، وتصحيح مسار تاريخ الاعتقاد الصحيح ، ولم يكن لمجرد التسلية ، ولا لمطلق القص ، ولا لوضع قواعد عامة لعلم التاريخ ، ولا لوضع خطة عامة للمؤرخين يلتزمون بها فى بحوثهم التاريخية والأدبية ، وإن كان يمكنهم التأدب بأدب القرآن الكريم فى أسلوب العرض وأدب الحوار .

٣- اعتبار هذا المنهج القرآنَ الكريمَ مصدرا وحيدا لسيرة رسول الله ﷺ الذاتية يفرض على المستشرق أن يستنطق القرآن الكريم بتفصيلات خاصة وجزئيات دقيقة عن حياة الرسول - ﷺ - وسيرته النبوية ، ولا مناص

له من ذلك طالما اعتبرالقرآن الكريم المصدر الأوحد لهذه السيرة العطرة وهذه مباحث لن يجد فيها طلبته ، ولن يقف منها على طرف ، لأن القرآن الكريم ليس كتابا فى علم السير ، ولا هو مرجع من مراجع التاريخ !! ومطالبته بما ليس من اختصاصه اعتساف فى الرأى ، وإفلاس فى الحجة ، ومجافاة للأمانة العلمية ، ومجانبة لمناهج البحث العلمى الدقيقة .

(فهذا طراز طريف فى بحث النبوات ، ولكنها طرافة لا يغبط عليها المستر فرانك ، لأن القران الكريم قُدم إلى الناس باعتبار أنه كتاب جامع لتعاليم الإسلام ، لا باعتبار أنه كتاب تاريخ لحياة محمد ، حتى يسوغ للمستر فرانك أن يحصى عليه إغفالات ليست من موضوعه !!

وإذا كان القران لم يذكر تفصيل حياة محمد - ﷺ - فهل ذكر موسى عليه السلام تفصيل تاريخه فى توراته ، غير ما كتبه خلفاؤه بعد وفاته ؟ وهل ذكر عيسى عليه السلام مثل ذلك فى كل ما قاله لبنى إسرائيل من تعاليمه ؟ وهل يستطيع المستر فرانك أن يأتينا بكتاب دينى واحد يذكر حياة الرسول الذى جاء به بتفصيل يوفى بشروطه .

وإذا كان هذا لا وجود له ، فكيف يطالب به القرآن الكريم ، ويسجل عليه خلوه منه ؟) (١) .

٤- إن هذا المنهج الاستشراقى فى العثور على مصادر الاستدلال يطمح إلى ، بل يتطلب إسقاط العديد من جوانب السيرة النبوية ، لأنها لم ترد فى القرآن الكريم ، فالقرآن الكريم ، وإن كان قد تحدث عن طرف من السيرة النبوية للرسول ﷺ فإنه لم يعرض لتفصيلاتها ، إذ أنه ليس مصدرا من

(١) مناقشات وردود للاستاذ محمد فريد وجدى جمع د. محمد رجب البيومى ص ٧٠ مرجع سابق .

مصادرها .

ولن يفى القرآن الكريم بإجابات عن تساؤلات المستشرقين المفروضة فى هذا الصدد ، لا لإفلاس منه ، ولا لعجز ، ولا لتقصير – حاشاه – وإنما لأن هذا أمر لم يكن من اختصاصه ، ولم يكن بحال موضوع اهتمامه ، ويترتب على هذا المنهج الخاطئ إسقاط جانب كبير من السنة الشريفة فيما يتعلق منها بسيرة رسول الله - ﷺ - لأن هذه الجوانب إنما وردت عن طريق السنة ولم ترد فى القران الكريم ، وهو يعمد إلي إقصاء حياة الرسول - ﷺ - وأخلاقياته وسلوكه من الساحة الإسلامية حتى يفتقد فيها القدوة والمثل الأعلى .

ومن ينتهج هذا المنهج من المستشرقين لايعدو كونه شبيها بحال رجل حمل جريحا وذهب به إلى " خياط " ليخيط جرحه فخاطه وهو لا يعلم منه إلا ظاهرا من العمل !! ففسد بذلك جرحه ، واستشرى الداء فى جسده . فتحللت بنيته !!

ولو أنه وسد الأمر إلى أهله فذهب إلى طبيب ماهر لا ندمل جرحه ، ولحافظ على حياته ، ولكنه لم يفعل فما كان إلا ما كان !!

ولا مرية أن منهج البحث الاستشراقى فى مصادر الدليل على هذا النحو سيقضى على الدراسات الاستشراقية بالعقم ، أو يئدها فى مهدها ، وإن قدر لها أن تبقى فستبقى تحمل فى طياتها علة فنائها وشارات بعدها عن المنهج العلمى الصحيح ، ولن تكون بحال موضع تقدير أو اهتمام .

وإذا أعددنا هذه المنهجية بإزاء القرآن الكريم شبهة فليست هى الشبهة الوحيدة التى أثيرت حول القرآن الكريم ، وإنما ثمة عدة شبهات أثيرت حوله تنفى عنه ألوهيته وتلصق به صفة البشرية !! إلا أن طبيعة هذا البحث لا

تقتضى تفنيدها ودحضـها ، فإنها اقتصرت على ما يتعلق مباشرة بمصدرية الدليل فى الفكر الاستشراقى بينما تتمحض تلك الشبهات لقضايا جوهرية تتعلق بطبيعة القران الكريم الموضوعية إن صح التعبير .

فضـلا عن أننا لا نذكر هنا فى معـرض النقـد كل مـا يثـار فـى السـاحـة الاستشراقية حول القرآن الكريم ، وإنما نكتفى من ذلك بما يخدم موضوع البحث ، ويسلم إلى نتائج علمية خاصة من زاوية خاصة .

الفصل الثانى

اعتماد مادة الاستشراق مصدرا أصيلا من مصادر الاستدلال

الفصل الثانى

اعتماد مادة الاستشراق مصدر أصيلا من مصادرالاستدلال

لا يختلف اثنان فى أن المصادر الأصيلة لقضية ما، واستقاء الأدلة منها هى التى تعكس بصورة قوية صدق الرؤى والتصورات ، وتؤصل صلة الأفكار بوسطها المنتسبة إليه ، وتجلى انتماءها إليه وتقويه ، وأن أى مصادر أخرى للاستدلال من الوسط المغاير لذات القضية تفتقد هذه الخصائص المصدرية لأن صلتها بهذا الوسط ليست بأصدق من صلتها بالوسط التى انبثقت منه ، وتمخضت عنه .

واعتماد هذه المادة مصدرا من مصادر الدليل دون المصادر الأصيلة أو تغييبها وجعلها ركيزة مصدرية تتضاءل بجانبها أهمية المصادر الأخرى ، أو تعمد تغييبها من شأنه أن يشوب الرؤى والتصورات ، ويضفى على القضايا ألوانا من الأفكار ، وهالات من الغموض والطلسمات لا تخلو من الخلط ، ولا تتجرد من الالتباس ، ويضع البحوث القائمة عليها فى مصاف البحوث الموجهة المحكومة بالآراء الشخصية ، ووجهات النظر الفردية ، أو الثنائية أو الجماعية .

ولامرية أن هذا المنهج فى اختيار مصادرالأدلة ومادتها سيفقد البحث العلمى قيمته العلمية ، ويطعن فى قيمته المنهجية،وتجعله لا يخلو من اضطراب فى المقدمات ، وارتطام فى النتائج ، وتناقض فى الأحكام ، مع القضية – مثار البحث – فى الوسط الأصيل .

وتقتضى منهجية اختيار مصادر الأدلة ومادتها وانتقائها أن يعتمد الباحث على الكتب الأصلية المتخمضة عن الوسط الذى تنتمى إليه القضية المثارة للبحث .

فمثلا إذا كان الباحث يعرض لقضية تتعلق بالإسلام بالبحث والدراسة

يتوجب عليه أن يعتمد على المصادر الأصلية والصحيحة النسبة إلى الإسلام لا إلى مصادر كتبت بيدغير إسلامية وصاغتها عقليه غريبة عن الإسلام وروحه ، نائية عنه ، نابية عن ذوقة .

ومن أراد أن يكتب فى اليهودية فليعتمد على المصادر اليهودية الأصيلة فى انتزاع الأدلة وبناء الأحكام .

ومن أراد أن يبحث قضية تتعلق بالنصرانية فليعتمد على المصادر النصرانية ، وهكذا أما أن يتغافل المصادر الأصيلة أو يتجاهلها فهذا ما سيؤول بالبحث إلى مسار منحرف ، ويبرز القضايا بوجه آخر قد لا يكون له صلة بوجهها الأصيل إلا فى المسميات ، وبعض نقاط الالتقاء فى خطوط البحث العريضة .

على أن تكون باقى النقاط مواضع تعارض وتناقض وتضارب ، وهذه هى التي تغير الملامح العامة للقضية ، وتخرجها من إطارها العام إلى إطار آخر تفقد فيه هويتها ، وتعرى عنها أصالتها ، وخاصة إذا كانت مصادر الدليل مصادر موجهة ومغرضة و لا تنتسب إلى وسط القضية إلا فى المسميات والعناوين ، وبعض النتائج .

وإذا ما جئنا لننظر إلى البحوث الاستشراقية نظرة فاحصة سوف يبدو لنا أنها لا تعتمد فى الأعم الأغلب على مصادر الاستشراق ، وتعتبرها مادة أصيلة من مصادر الاستدلال ، فى الوقت الذى تغفل فيه المصادر الإسلامية، أو تعتمد عليها بصورة تتضاءل بجانب تلك المصادر ، أو على الأقل تجعلها تزاحم المراجع الإسلامية .

وتستطيع أن تقف على هذا بمراجعة قوائم المراجع والمصادر التى يعتمد عليها المستشرقون فى بحوثهم .

فمثلا إذ ما رجعنا لكتاب السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات فى

عهد بنى أمية للمستشرق (١) فان فلوتن نجد أنه قد اعتمد على ثمانين مرجعا تقريبا كان من بينها أربعون مرجعا ألفها المستشرقون ، إلى جانب أن المؤلفات الإسلامية المترجمة إلى اللغات الأخرى لها مقدمات وشروح وتعليقات من المستشرقين ، على أننا لا نركز عليها فى الإحصاء ، هذا على أننا أهملنا كثيرا من الإشارات إلى أقوال المستشرقين التى ليس لها مرجع ، والتى جاءت مرسلة في الكتاب (مثار النقد) فماذا ننتظر إذن من مؤلف كانت مؤلفات الاستشرق على النصف من مراجعه !!

وأى صورة عن الإسلام نستقيها منه ؟! وأى حكم يمكن أن نلجأ إليه فى استنباطه ، ونطمئن إليه دون أن يحيطنا الشك ، ويسيطر علينا الارتياب ؟!! وتستطيع أن ترجع إلى قائمة مراجع مؤلف العقيدة والشريعة فى الإسلام لجولد تسيهر (٢) وستجد الكم الهائل والضخم من المراجع الاستشراقية تفوق المراجع الإسلامية الأصيلة !!

وكذا قائمه - مراجع مؤلف الإسلام والمسيحية للمستشرق : إليكس جورافسكى (٣) وستجد طغيان المصادر الاستشراقية على مصادر البحث أكثر من المؤلف السابق !!

وقوائم مراجع مؤلفات أخرى منها الماضي المشترك بين العرب والغرب . أ . ل رانيلا (٤) . وغيرها كثير تستطيع أن تلمس فيها هذا الخطأ المنهجى فى اختيار مصادر الدليل فى بحث قضايا متعلقة بالإسلام وستجدها حقيقة

---

(١) ترجمة د. حسن إبراهيم حسن . د. محمد زكى إبراهيم مطبعة السنة المحمدية ١٩٦٥ م .

(٢) ترجمة د. محمد يوسف موسي وأخران دار الكتاب العربى ط (٢) ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩ م .

(٣) ترجمة د. خلف محمد الجراد . عالم المعرفة . جمادى الأخرة ١٤١٧هـ - نوفمبر ١٩٩٦م على أن هذا الكتاب يشتمل على مواقف نقدية ذاتية للاستشراق .

(٤) ترجمة نبيلة إبراهيم عالم المعرفة رمضان ١٤١٩هـ - يناير/كانون الثانى ١٩٩م

ماثلة أمامك ليست موضع جدل أو نقاش .

من ثم تأتى خطورة هذه المنهجية ، وجعل مادة الاستشراق - والتى يمكن وصفها بالمادة (المضادة) للمادة الإسلامية أساسا لتكوين فكرة تُعتمد فى الوسط الاستشراقى عن الإسلام ، وتكون فيما بعد مرتكز امن مرتكزات الفكر الاستشراقى .

إن هذا يعنى أن هذه المؤلفات عن الإسلام ليست إلا ترديدا لهذا الفكر ، وترويجا له فى الأوساط المختلفة لتأصيل مواقف المستشرقين الفكرية ، بل والدينية من الإسلام !!

وعلى هذا فإن هذه الصور تكون مكرورة ومركوزة فى بؤرة الشعور الاستشراقى (العقل الواعى) واللاشعور (اللاوعى) ومن الصعب محوها من الذاكرة الاستشراقية ، والمرجعية التاريخية للأدب الاستشراقى حيال قضايا الإسلام ، والتى تشكل رؤاه وتصوراته ، وتميط اللثام عن أهدافه واتجاهاته ونواياه !!!

وربما يرجع اعتماد المستشرقين على هذه المنهجية فى اختيار مصادر البحث العلمى والدليل إلى أنهم لا يجدون فى المصادر الأصلية ما يسعفهم فى تكوين تصوراتهم للإسلام وتدعيمها ، وما تكون لديهم عنه من أفكار صارت قضايا كلية لاتقبل النقاش ، ومسلمات لا تقبل الشك !!

واعتمادهم الكامل على هذه المراجع الأصيلة سيحول دون تحقيق أهدافهم ، لأنهم لا يجدون فيها طلبتهم ، مما يكون له أثره المباشر على الدراسات الاستشراقية عن الإسلام ، وسيكون عقبة كأداء أمام إنمائها وتضخيمها ، الأمر الذي يجعلها دراسة مجدبة - من وجهة النظر الاستشراقية - يكون لها آثارها - التى يعتبرونها - سلبية فى الوسط الاستشراقى .

الفصل الثالث

التحكم فى مصادر الاستدلال

الفصل الثالث

التحكم في مصادر الاستدلال .

إن المنهجية الصحيحة فى الاستدلال فى مجال البحث العلمى تقتضى تحديد هوية المصادر وخصائصها واتجاهاتها عند اعتمادها كمصادر أصيلة أو ثانوية فى بحث قضية ما ، أو معالجة مشكلة من المشكلات .

فمثلا : يجب على الباحث فى قضية دينية اختيار المصادر المتخصصة فى هذا الصدد ، وعلى الباحث فى قضية لغوية اختيار المصادر المتخصصة فى اللغة ، وعلى الباحث فى قضية تاريخية اختيار المصادر المتخصصة فى التاريخ .. وهكذا .

وهذا المنهج المعتمد فى مجال البحث العلمى فى الاستدلال هو الذى يضمن للباحث التوصل إلى نتائج موضوعية .. موثوقٍ بها .. ليست محل رفض ، أو رد ، أو نفى أو استهجان .

فضلا عن أنه يعطى للبحث رصانة قوية ، وقيمة علمية خاصة ، حيث يكون بحثا يتمتع بالتخصص الدقيق فى مجاله ، لأنه قدتم اختيار مصادره فى إطار تخصص متكامل مما يضمن صدق الرؤى ، وسلامة التصورات التى احتواها ، والنتائج المتمخضة عنها .

ومخالفة هذا المنهج العلمى فى اختيار مصادر الاستدلال قضية خطيرة وشائكة فى مجال البحث العلمى . فهى تجعل البحث العلمى مزيجا من عناصر مختلفة فى التخصص مما يفقد البحث أصالته ، وينأى عن دائرة التخصص الدقيق .

فالاعتماد على كتب الأدب كمصادر أصيلة فى بحث قضية عقدية ، وعلى

الكتب المتخصصة فى التاريخ كمراجع أصيلة للبحث فى قضية فقهية ، وعلى كتب التفسير كمراجع أصيلة فى بحث قضية متعلقة بالقانون ، والعكس : عبث بمقدرات البحث العلمى ، ومقررات الاستدلال الصحيح ، يترتب عليه خطأ محتم فى التصورات والرؤى والأحكام ، مما يزرى بقيمه البحث العلمى ويجعله مثارا قويا للشك والارتياب .

وإذا ما نظرنا إلى منهج المستشرقين فى الاستدلال فيما يتعلق باختيار مصادر الاستدلال سنجد أنه لم يلتزم بهذه القاعدة فى الاختيار والانتقاء ، وأنه خالفها إلى غيرها .

فكثيرا ما نجد المستشرقين يعتمدون على مصادر غير متخصصة وغير أصيلة فى تناولهم وعرضهم لقضية من قضايا الإسلام .

وهكذا (يتحكم المستشرقون فى المصادر التى يختارونها ، إذ ينقلون من كتب الأدب ما يحكمون به فى تاريخ الحديث النبوى ، ومن كتب التاريخ ما يحكمون به فى تاريخ الفقه ، ويصححون ما ينقله الدميرى فى كتابه الحيوان ويكذبون ما يرويه الإمام مالك فى الموطأ) (١) .

مثال :

انتهج المستشرق جولدتسيهر هذا المنهج الخاطئ فى اختيار - مصادر الاستدلال فى كتابه العقيدة والشريعة ، إذ اعتمد - على سبيل المثال - فى كتابته عن الفقه الإسلامى على مصادر ليست متخصصة ، ولا هى قريبة من التخصص ، وإنما هى فى معظمها مراجع للتاريخ ، وليست للتشريع ، من هذه المراجع ما يلى :

---

(١) أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى أ. أبو جريشه ص ٢٤ مرجع سابق .

١- الديانات القومية والديانات العالمية لأبراهام كونتن .

٢- الطبقات لابن سعد .

٣- الدراسة التاريخية للإسلام لليونى كايتانى .

٤- فتوح البلدان للبلاذرى ، طبعة دى غويه .

٥- مذكرة فتح سوريا .

٦- تاريخ الطبرى .

٧- مجلة المستشرقين الألمانية .

٨- خمس سنوات بدمشق بورتر .

٩- نهج البلاغة .

١٠- الروح لابن قيم الجوزية .

١١- الحيوان للجاحظ .

١٢- حياة الحيوان الكبرى للدميرى .

١٣- دراسات عن حكم الخليفة الأموى معاوية الأول للأب لامانس .

١٤- الأغانى للأصفهانى .

بالإضافة إلى المراجع الأخرى المتخصصة .

على أن هذه المراجع الغير متخصصة ، والتى يغلب عليها الطابع التاريخى كانت مصدرا لجمع عناصر المادة العلمية لبحث قضية تنأى كثيرا عن دائرة تخصصها .

ولا شك فى أن هذه المادة العلمية المستقاة فى الغالب من كتب التاريخ تفتقد التوثيق والدقة ، وأخبارها غير مقطوع بدقتها ، وليست محل قبول

(١) راجع العقيدة والشريعة فى الإسلام أجناس جولد تسيهر ترجمه وتعليق د. محمد يوسف موسى وأخرين . مرجع سابق .

مطلق ، وإنما تقبل بقيود ، وتتمثل هذه القيود فى صحتها وانضباطها ، على ألا تكون مضطربة أو ضعيفة ، أو شاذة ، ومما من شأنه أن يفقدها قميتها المرجعية ومكانتها العلمية .

ومن المعترف به فى الوسط العلمى – وخاصة الإسلامى – أن مراجع علم التاريخ مراجع غير موثقة علميا ، وتفتقر مادتها إلى التحقيق والإثبات ، وأنها تحتوى عناصر ضعيفة وشاذة ومدسوسة ومكذوبة وملفقة لا تصلح قط لأن تكون مادة للاستدلال يعترف بها فى ميدان البحث العلمى .

وأعجب كل العجب من اعتماد هذا المستشرق وغيره علي كتاب الأغانى للأصفهانى ، والحيوان للدميرى ، والحيوان للجاحظ ، ومجلة المستشرقين الألمانية ، ونهج البلاغة ، ودراسات عن حكم الخليفة الأموى معاوية الأول للامانس ، ومذكرة فتح سوريا .

أعجب كل العجب من اعتمادها مراجع أصيلة فى بحث قضية تتعلق بالحديث النبوى وقضايا التشريع !!

وأنَّى لباحث أن يستنطق مراجع التاريخ بأدلة ومادة علمية للحكم على مثل هذه القضايا !!

وأنَّى تكون هذه المادة محل ثقة وقبول مطلق فى الوقت الذى يشككون فيه فى كتب السنه الصحيحة !!!

ولعل ظهور هذه المراجع بصورة طاغية – إذا ما قورنت بالمراجع المتخصصة فى هذا الصدد ، إن لم يكن فى غيبة منها – يرجع إلى أن انتقاء مصادر الاستدلال لا يخضع لمقياس تخصص دقيق ، وإنما إلى انتقاء يخدم توجهات معينة فى البحث . تنأى عن طبيعة البحث العلمى الجاد

والنزيه .

وربما عمد المستشرقون إلى ذلك لأن اعتمادهم على الكتب الدقيقة المتخصصة قد لا يسعفهم فى تأييد مزاعمهم ، وخدمة أهدافهم ، وضبط توجهاتهم الخاصة حيال قضايا الإسلام ، لأن أفكارهم ورؤاهم وتصوراتهم تتجافى ، بل وتصطدم معها مطلقا !!

ولا مرية أن الأحكام الصادرة عن مادة استدلالية مستقاة من هذه المراجع فى هذه القضية ستكون مضطربة وخاطئة ، لأن أدلتها لم تكن أدلة موثقة ، فضلا عما بها من اعتلال وضعف .

وهكذا يتضح خطأ المنهج الاستدلالى لدى المستشرقين فى اختيار مصادر الأدلة والمادة العلمية فى ميدان البحث العلمى فيما يتعلق بقضايا الإسلام .

الفصل الرابع

الاعتماد على المصادر المذهبية الغالية

الفصل الرابع

الاعتماد على المصادر المذهبية الغالية

يعتمد كثير من المستشرقين فى بحث مصادر الإستدلال على المصادر المذهبية الغالية ، ومن أهمها المذهب الشيعى الغالى باعتباره مذهبا يمثل تغلغلا ثقافيا لبعض الأفكار والمبادئ الفلسفية اليهودية فيما يتعلق بمسائل الغيبة والرجعة والوصية ، وغير ذلك من ملامح التأثر بالفكر العقدى اليهودى ٠

فضلا عن أنه يمثل لونا من ألوان التناقض مع مذهب أهل السنة والجماعة ، والمعبر تعبيرا صادقا عن الإسلام بإجماع علماء الأمة .. إلى جانب أن مراجعه الحديثة ، وإن انبثقت من أصول قديمة تعبر تعبيراً قويا عن هذه الروح التناقضية ، وتفتح باب الجدل ، وتثير النقاش ، وتعمق الخلاف بين المسلمين ٠

على أن الخلاف المذهبى بين الشيعة وأهل السنة جعل الشيعة يقفون من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم موقفا لا يتناسب ومكانتهم العلمية والدينية والخلقية ٠

فضلا عن أنه جعلهم يقفون موقفا خاصا من نبوة رسول الله ﷺ وكان لهذا المذهب الغالى دوافعه النفسية والسياسية والطائفية التى دفعت بأصحابه إلى الوضع فى الحديث ، فوضعوا فيه ما يؤيد أصل مذهبهم وما يثنون به على الشيعة ، ويمتدحون به التشيع (١) ٠

---

(١) وقد قيض الله تعالى لهم من العلماء من ألف فى ذلك مؤلفات نقدية لبيان وضع هذه الأحاديث وكشف زيفها وبطلانها . راجع في هذا – على سبيل المثال – رياض الجنة – والملل والنحل =

وقد كان الفكر الشيعي يمثل وسيلة اختراق قوية للمستشرقين للفكر الإسلامى ، إذ وجدوا فيه ما يروقهم ، وما يجدون فيه موضوعا للدس والاختلاق والافتراء على الإسلام ودعاته فترجموا كتبه إلى عدة لغات أوربية وعكفوا على دراستها ، وجعلوها مصادر رئيسة لبحوثهم ودراساتهم للإسلام ، ثم صدَّروها على أنها مصادر أصيلة فى الإسلام ، وقدموا الإسلام – فى كثير من الأحيان – من خلالها ، وجعلوا آراء كتاب هذا المذهب ومروجيه من القدماء والمحدثين حجة بالغة (١) على صحة تصوراتهم ورؤاهم وآرائهم عنه .

وهكذا اعتمد بعض المستشرقين على هذه الركيزة فى منهجهم فى بحث مصادر الدليل واتخاذها تكأة لترويج الفكر الغالى والمنحرف فى الوسط الغربى كما حاولوا ذلك أيضا فى الوسط الإسلامى .

= للشهرستانى تحقيق محمد كيلانى حـ١ص١٧٢ الحلبي بدون تاريخ ، والفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم الظاهرى تحقيق عبد الرحمن عميرة حـ ٥ ص ٣٥ ومابعدها دار الجيل بيروت ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

(١) راجع فى هذا على سبيل المثال تراث الإسلام جوزيف شاخت كليفورد بوزورث ترجمة محمد زهير السمهورى د. حسين مؤنس د/ إحسان صدقى العمد تعليق د. شاكر مصطفى . مراجعة د/ فؤاد زكريا حـ١ ص ٢٢٩ سلسلة عالم المعرفة ع ٢٣٣ ط (٢) المحرم ١٤١٩هـ – مايو – ١٩٩٨م حيث اعتمد على رأى بعض كتاب الشيعة لتبرير العلمانية ، وإمكانية قبول الفكر الإسلامى لها . وراجع قائمة السيادة العربية لفان فلوتن . مرجع سابق .

الباب الثانى

خصائص منهج المستشرقين الاستدلالى

تمهيد:

لامرية أن للدليل أهميته الكبيرة فى البحث العلمى ، وذلك أن قوة البحث تقاس بقوة الاستدلال ، وقيمته تقاس بقيمته ، وأن صدق النتائج تتوقف على صدق الأدلة ، وموضوعيتها تتوقف على موضوعيته .

وأن الدراسات الخالية من الاستدلال تفتقد قيمتها العلمية ،إذأنها لاتعدو كونها ضربا من الإنشاء المحض ، الأمر الذى يجعلها ظنية احتمالية الحكم، لا يقينية قطعية . مما يجعلها إلى الرفض أقرب منها إلى القبول ، ومن الرد أقرب منها إلى الأخذ ، ومن النفى أقرب منها إلى الإثبات .

وأن الدليل إذا أنشئ وفق منهج مضطرب . فضلا عن كونه خاطئا ، يفتقر إلى القوة ، ويفتقد مصداقيته ، فإنه لا مناص من الوقوع فى أخطاء علمية فادحة فى النتائج تترتب على هذا الاضطراب أو الخطأ المنهجى . مما يفقد ها – أى النتائج – موضوعيتها وقيمتها العلمية .

وإذا ما جئنا لنخضع المنهج الاستدلالى لدى المستشرقين للمنظار النقدى ، والنظر العقلى السليم سوف نجد انحرافا كبيرا فى بنية الدليل وطبيعة الإستدلال وخصائصه ، مما يفقد عملية الاستدلال قيمتها ، ويجعلها لاتصمد أمام النقد .

وسوف نرى كيف تعمد المستشرقون ليس فقط إحداث الاضطراب فى المنهج ، وإنما إحداث قواعد جديدة طبقا لوجهات نظرهم فى الدراسات الإسلامية فيما يتعلق بمنهجية الاستدلال تخالف القواعد المنهجية العلمية المتعارف عليها فى الأوساط العلمية ، والتى تمثل ثوابت صادقة ، وأسس راسخة لإنشاء الدليل ، وبناء منهج استدلالى قوى يكون له أثره الفعال فى

إثراء قيمة الاستدلال ، وصبغها بالصبغة العلمية .

وقد كثر وقوع المستشرقين فى هذه الأخطاء المنهجية فى الاستدلال لدرجة أن جعلوها ركائز منهجية للاستدلال فى الدراسات الإسلامية ، وباتت خصائص تختص بها عملية الإستدلال فى الوسط الإستشراقى وسوف نوضح بمشيئة الله تعالى فى هذا الباب هذه الأخطاء المنهجية فيما يتعلق بطبيعة الاستدلال ،لدى المستشرقين وخصائصة ، وأفرد لكل خصيصة من هذه الخصائص ، أو لكل خطأ من هذه الأخطاء – بمفرده فصلا مستقلا . مركزا فيه على مثارات النقد القوية فيها من خلال نماذج إنشائية للأدلة من الدراسات الاستشراقية .

على أن عناصر النقد المنهجية فى هذا الباب لا تستجمع كل القواعد المنهجية الاستدلالية فى الفكر الاستشراقى ، وإنما هى أهم ما وقفت عليه، وبذلت فيه قصارى جهدى بتوفيق من الله تعالى ، وقد يهدى الله تعالى غيرى إلى مالم أُهد إليه والله تعالى هو الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

الفصل الأول

انتحال الدليل

الفصل الأول

انتحال الدليل

إن المنهجية العلمية السليمة فيما يتعلق بقضية الاستدلال توجب على الباحث التحقق من نسبة الدليل إلى مصدره ، أو التأكد من نسبة القول إلى قائله – وخاصة إذا كان هذا القائل رجلا غير عادى ، كأن يكون مصدرا من مصادر التوجيه والإرشاد ، فضلا عن أن يكون نبيا مرسلا من عند الله تعالى .

لأن هذا القائل هو الذى سيُنسب إليه ما تضمنه الدليل من مفاهيم وأحكام ، وحتى لا يتسنى لأحد نفى هذه الأحكام عنه ، أو يَنسبَ إليه ما صدر عن غيره من أحكام .

وهذه غاية فى التوثيق يتوقف على دقتها وصحتها إثبات أو نفى ، فإذا كان التوثيق صحيحا ودقيقا ترتب عليه إثبات الحكم لقائله – أقصد صاحبه وليس الباحث – إذا ما انتُزِع بموضوعية وأمانة ، وإذا ما كان وفق منهجية علمية سليمة فى الاستدلال .

أما إذا كان التوثيق ضعيفا وغير دقيق ترتب عليه نفى الحكم عما نسب إليه ، ووجب التأكد على نحو دقيق من قائله الحقيقى ونسبته إليه ، كما يجب عدم الاعتداد به فى ميدان البحث العلمى ، لأنه صار مبتور النسبة غير موثوق فيه .

هذا إذا ما أردنا أن ننشئ أدلة مسؤلة – إن صح التعبير – عما تتضمنه من عناصر الحكم التى إن انتُزِعت منها على وجه صحيح أدت إلى نتائج قيمة فى مجال البحث العلمى .

أما أن يأتى الباحث بمقولات معينة صادرة من شخص بعينه لينسبها إلى شخص آخر فى موطن القدوة ، لنحكم من خلالها على ما ينسب إليه من أحكام ، أو ينشئها الباحث ابتداءاً وينسبها إليه ، فذلك انتحال للأدلة له خطورته فى ميدان البحث العلمى ، لأنه يوقع الباحث فى أخطاء فادحة فى المنهج الاستدلالى والنتائج المترتبة عليه .

والانتحال إن كان عن عمد فهو خطأ فادح ، وإن كان عن غير عمد فهو خطأ ناشئ عن قلة التتبع ، وعدم الاستيثاق من نسبة القول إلى قائله ، والتحقق منه .

وإذا نظرنا إلى الدراسات الاستشراقية نجد أنها قد اعتمدت فى منهجها الاستدلالى فى بعض الأحيان على انتحال الأدلة ، وإن شئت قلت جمع عناصر الدليل وتركيبها ونسبتها إلى مصادر لم تكن صادرة عنها .

والدافع إلى هذا أن هؤلاء المستشرقين قد عجزوا بالفعل عن إنشاء أدلة صحيحة مسئولة تؤيدهم فى دعواهم وتدعم رؤاهم وتصوراتهم ، ورأوا أن فى الانتحال وسيلة جديدة لإثراء بحوثهم بالأدلة المركبة – لصبغها بالصبغة العلمية والمنهجية ، مع أنها تحمل بين طياتها بنسبتها الباطلة دلائل فسادها.

وقد أدى اعتماد هذا المنهج الخاطئ فى الاستدلال إلى وقوع أخطاء علمية ومنهجية فى البحوث الاستشراقية فادحة ، مما جعل الفكر الاستشراقى فى مأزق فى ميزان النقد العلمى النزيه والجاد ، وجعله مثارا للشك ، ومبعثا للارتياب .

مثال :

ومن الأمثلة التى توضح وقوع المستشرقين فى هذا الخطأ الاستدلالى

ما يلى :

١- نسبة بعضهم مقولة : (اختلاف أمتى رحمة) إلى رسول الله - ﷺ - ، وهى معنى مقالة لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وقد قال فى اختلاف الصحابة فى اجتهادهم : (ما يسرنى باختلافهم حمر النعم ، ولو كان رأيا واحدا لكان الناس فى ضيق) . ونقل العامة هذا المعنى فى حديثهم عن أئمة المذاهب الإسلامية ، وقالوا اختلافهم رحمة .

٢- ونسبتهم مقولة : (رحمة الأمة فى اختلاف الأئمة) إلى رسول الله - ﷺ - وهى عنوان كتاب ألف فى مجال الاختلاف بين الأئمة .

٣- نسبة مقولة (تتغير الأحكام بتغير الزمان) إلى رسول الله - ﷺ - وهى معنى مقولة للإمام مالك رضي الله عنه: (يجد الناس من الأقضية بمقدار ما يحدثون من أحداث) ، وثمة فرق كبير بين المعنيين ، إذ أن مبادئ الإسلام يجب أن تبقى حاكمة للزمان ، وليست محكومة بالأزمان) (١) .

على أن قول المستشرقين الأخير : (تتغير الأحكام بتغير الزمان) وقد قال المستشرقون هذا- كما هو واضح - فى معرض الاستدلال على زعمهم بأن الشريعة الاسلامية لا يمكن أن توصف بالثبات والاستمرارية . ومعنى هذا أنهم يريدون حصرها فى عصر النبوة وعصور الاجتهاد الأولى ، وأنها إنما شرعت لفترة زمنية معينة فلا يجب الاستمساك بها وتطبيقها فى العصور الحديثة ، رغبة فى زيوع النزعة العلمانية فى الأوساط الإسلامية والتى تفصل فصلا تاما بين

---

(١) الاستشراق وجه للاستعمار الفكرى د. الجبرى ص ٢٣١ ، ٢٣٢ . مرجع سابق بتصريف شديد

الشريعة الإلهية والقوانين العامة !!

٤- نسبة مقولة (الربح يتبع التكليف) إلى الرسول ﷺ وهى مقولة غير معروفة النسبة)(١).

وقد خرَّجوا مقولات العلماء هذه على أنها أحاديث نسبوها إلى رسول الله ﷺ ويبدو واضحا من خلال هذا مدى الخطأ البالغ الذى وقع فيه المستشرقون فى منهجهم الاستدلالى فى دراساتهم للإسلام وكتاباتهم عنه . الأمر الذى أدى إلى خطأ واضح فى النتائج ، وقصور فى إصدار الأحكام

(١) فجر العلم الحديث:الإسلام - الصين - الغرب . توبى أ . هاف ترجمة د. أحمد محمود صبحى ص ١٩١ ، وانظر الهامش للتعليق . عالم المعرفة شوال ١٤١٧هـ - مارس / آذار ١٩٩٧م.

الفصل الثانى

افتراض الأدلة

الفصل الثانى

افتراض الأدلة

تقتضى مناهج البحث العلمى الصحيح أن يستقى الدليل من مادة تتصف بالتحقق والثبات ، وأن هذا هو الطريق الوحيد للموضوعية فى البحث ، وأن الباحث إذا افتقد كل مقدرات إنشاء الأدلة بات ذلك دليلا قاطعا على عدم إصابته فى تحديد مفاهيم القضية - مثار البحث - على نحو موضوعى وصحيح ، وأن عليه أن يلملم أفكاره ويرمى بها ، ثم يقلب نظره فى القضية مرة أخرى ، ويقلب وجوهها لعله يجد فيها وجها لم يقف عليه من قبل ، ولم يعدم أن يجد الدليل على صحته .

وإذا ما استعصى عليه إنشاء الدليل فليلملم أوراقه ، ولينته من بحث القضية ، لأنه أفلس فى إقامة الدليل فى بحثها ، وقصر إدراكه عن فهمها فهما صحيحا يضاف إلى رصيد البحث العلمى الموضوعى النزيه .

ومن ثم تحتم عليه تخلية الساحة لغيره لعله استكمل من أدوات البحث العلمى مالم يرْق إليه ، ولعله مُنح فهما لم يبلغه هو أو ينتهى إليه .

أما أن يُصر على مواصلة البحث مع ما يعلمه من إفلاس تام فى إقامة الدليل واستعصاء المسألة على عقله ومداركه ، ويلجأ إلى طريقة غير علمية يعد استخدامها فى مجال البحث العلمى جريمة فى حق العقل الإنسانى ، وهو " الافتراض " فى موطن لا يتعثر فيه إقامة الدليل إذا ما تجرد الباحث للموضوعية والنزاهة فى البحث ، فإن هذا يعد لونا من ألوان العبث والتحكم الهازل فى اتجاهات الدراسة فى ميدان البحث العلمى .

وقد اتفقنا على أن عدم قدرته على إنشاء الدليل أو إفلاسه فى هذا

الصدد ليس دليلا على استعصاء القضية على البحث العلمى ، وإنما يرجع ذلك إلى قصور منه ، وقلة وعى ، وسوغهم ، وندرة حجة ، وقلة برهان ..أو أنه يتوفر له كل ذلك لكنه لا يتفق وهواه ، ولا ينطبق مع ما قرره من نتائج مسبقة على ابتداء البحث .

ولو فحصنا المنهج الاستدلالى لدى المستشرقين ، ووجهنا إليه منظورنا النقدى لألفينا أن الحركة الاستشراقية اعتمدت هذا المنهج الاستدلالى فى كثير من مواطن البحث العلمى ، وهو افتراض الأدلة .. عندما يستعصى عليهم إنشاؤها على وجه يؤيد رؤاهم وتصوراتهم للقضية مثار البحث !!

ولم يكن الافتراض هو الحد الذى ينتهى إليه منهجهم الاستدلالى ، وإنما تتعدى مشكلات هذا المنهج اللاعلمى فى الاستدلال إلى آفاق أخرى لا تقل خطورة عن خطورة الافتراض ، إن لم يكن الافتراض نتيجة مباشرة لها ، أو بديلا قويا عنها .

وينحصر فى هذه الآفاق : التشكيك ، والنفى .

على أنهما لا يؤثران على الدليل المنشأ - فى الفكرة الاستشراقية - وإنما تأثيرها متعلق تعلقا تاما بالدليل الصحيح فى الفكرة المغايرة وأقصد بها هنا قضايا الإسلام التى اعتبرها المستشرقون مثار للبحث .

وليس معنى ذلك أنهما عديما الصلة والتأثير في الفكرة الاستشراقية ، فإن ثمة علاقة بينهما تنحصر فى إقصاء الدليل الصحيح من الفكرة الإسلامية عن موضوع البحث ، ومجال الاستدلال ، لإفساح المجال أمام الدليل المنشأ ، وليمثل بديلا قويا للدليل المقصى أو المستبعد من دائرة البحث ، وحضورا قويا للفكر الاستشراقى فيما يتعلق بدراسة القضايا

الإسلامية ، مما من شأنه تغيير المفاهيم والتصورات والرؤى الإسلامية ، وصبغها بصبغة استشراقية جديدة .

وسوف نبين فيما يلى ما يتعلق بالمرتكزات الثلاث فى دائرة الاستدلال الاستشراقى وهى التشكيك ، والنفى ، والافتراض .

أولا : التشكيك والنفى فى محيط الاستدلال .

يعتمد المستشرقون فى كتاباتهم عن الإسلام على هذه الركيزة التى بلغت من الذيوع فى الوسط الاستشراقى أن صارت قاسما مشتركا بين كثير من المستشرقين فى دراساتهم لقضايا الإسلام وبحثهم فيه وقد أطلق المستشرقون لشكوكهم فى قضايا الإسلام وتشكيكهم فيه العنان ، واستحوذت هذه الشكوك على مساحة عريضة فى الوسط الاستشراقى ، فجاءت معظم هذه الدراسات المتمخضة عن الحركة الاستشراقية مليئة بالتصورات الفجة عن الإسلام ، والشكوك التى أحيطت بها قضاياه .

وكأن هذه البحوث جاءت لتعلن بعد كثير من الدراسات التى قامت على التشكيك فى هذه القضايا ضرورة إعادة النظر فى الدين الإسلامى بما تضمنه من حقائق ومعطيات ، وحركته الفكرية .

وهذه الدراسات التى قامت على التشكيك ، واعتمدت عليه حتى صارت سمة عامة من سمات الاستشراق قد أثرت فى العقلية الغربية تأثيرا كبيرا ونجحت إلى حد كبير فى رسم صورة مشوبة للإسلام فى الغرب النصرانى .

وقد كانت مثل هذه التصورات والرؤى والآراء – للأسف – مصدرا من المصادر الموثوق بها لدى الكثرة الكاثرة من العلماء والمفكرين والساسة

والاقتصاديين والاجتماعيين الغربيين .

وقد غزت هذه الأساطير التى كتبت عن الإسلام فى الغرب الوسط الاستشراقى بصورة رهيبة ، وعطلت العقلية الأوروبية عن إعمال وسائل إدراكها فى معزل عن المؤثرات الفكرية والنفسية والسياسية تجاه الإسلام فى القضايا التى تعالجها حتى باتت كل هذه الدراسات مثارا للشك ، ومبعثا للارتياب حتى لدى بعض المستشرقين الذين تحرروا من هذه المؤثرات بعض الشئ ، وهم يمثلون النزر اليسير من المستشرقين .

{ وقد يمضى أولئك المستشرقون فى دراساتهم عن الإسلام مع شكوكهم إلى المدى البعيد ، ويطرحون افتراضات ليس لها سند من الواقع أو التاريخ ، بل إنهم ينفون العديد من الروايات لهذا السبب أو ذاك ، بينما نجدهم فى المقابل يتشبثون بكل ما هو ضعيف وشاذ (لقد غالوا فى كتاباتهم فى السيرة النبوية ، وأجهدوا أنفسهم فى إثارة الشكوك فى وقائعها ، وقد أثاروا الشك حتى فى اسم الرسول - ﷺ - ولو تمكنوا لأثاروا الشك حتى فى وجوده !! ولكنهم مهما قالوا فى نسبة التاريخ الصحيح فى سيرته - ﷺ - فإن سيرته هى أوضح وأكبر سيرة نعرفها بين الأنبياء والرسل } (١) .

ولم يكن هذا الاتجاه يرضى بعض المستشرقين الذين تحرروا بعض الشئ من تلك المؤثرات المشار إليها آنفا ، فقد وضعوا هذه المقولات والتجنيات التى مثلت ركيزة الشك ، واتخذت من (النص الإلهى للقرآن الكريم مثارا له ، ومبعثا للارتياب) (٢) دليلا – فى زعمهم – يُثْبت شكوكهم ويؤيد آرائهم وإفراطهم فى افتراضاتهم أن (الرسول - ﷺ - تلقى بنص

(١ ، ٢) مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية والإسلامية حـ ١ ص ٥٠ ، ١٥١ مرجع سابق بتصرف شديد .

تعاليم الإسلام عن ورقة بن نوفل ، ونفوا اعتمادا على الشك إلهية النص القرآنى) (١) .

وقد اتخذ هؤلاء المستشرقون الذين تحرروا من الهوى والتعصب بعض الشئ موقفا واضحا من هذه الآراء ينتقدون فيه منهج نظرائهم الذين اعتمدوا مناهج غير علمية فى كتاباتهم عن الإسلام .

وقد صارت هذه الدراسات الاستشراقية مثارا للشك فى مصداقية الفكر الاستشراقى ونضوج العقلية الاستشراقية ، إذ أن النضوج العقلى لا يقاس بالكم الذى يتمخض عن الحركة العقلية ، وإنما يقاس بمصداقية ما تقدمه القرائح الصافية من نتائج صادقة وواقعية وملموسة .

كما صارت هذه الدراسات مأخذا كبيرا من المآخذ التى أخذت على الحركة الاستشراقية فى بعض الأوساط الفكرية الغربية .

وينتقد (در منغهم) هذه الاتجاهات النقدية الاستشراقية للإسلام فيقول : (من المؤسف حقا أن غالى بعض هؤلاء المتخصصين من أمثال (موير) و (جولدزيهر) و (غودمزوا) وغيرهم فى النقد أحيانا . فلم تزل كتبهم عامل هدم على الخصوص ، ولا تزال النتائج التى انتهى إليها المستشرقون سلبية ناقصة . ولن تقوم سيرة على النفى ، ومن دواعى الأسف أن كان الأب (لا مانس) الذى يعد من أفضل المستشرقين المعاصرين - من أشدهم تعصبا وأنه شوه كتبه الرائعة الدقيقة وأفسدها بكرهه للإسلام وبنى الإسلام ، فعند هذا العالم اليسوعى أن الحديث إذا وافق القرآن الكريم كان منقولا عنه ، فلا أدرى كيف يمكن تأليف التاريخ إذا اقتضى تطابق الدليلين تهادمهما

---

(١) نفس المرجع بتصرف شديد .

بحكم الضرورة بدلا من أن يؤيد أحدهما الآخر) (١) .

وهذا يعنى نفى الأحاديث التى لم توافق القرآن الكريم فى تفصيلاتها التى تنفرد بجوانب لم تأت فى القرآن الكريم إذ أن فيه غنى عنها ، وهذا ما اعتمد عليه هؤلاء فى إسقاط بعض جوانب تفصيلية فى السنة الشريفة لموقف جاء مجملا فى القرآن الكريم ، فضلا عن إسقاطهم ما يتفق مجملا مع إجمال القرآن الكريم ، وهذا آكد فى الإعراب وأبعد عن القصد .

ومكمن الخطورة فى هذا المنهج الاستشراقى أن كثيرا من المستشرقين نظروا للقران الكريم على أنه كتاب تاريخى يقص سيرة الرسول - ﷺ - ولا يعتبرون بأى مصدر أخر للسيرة غيره ، ومن ثم فإنهم يسقطون كل مالم يأت فى القرآن الكريم من سيرة الرسول - ﷺ - وتكون هذه المصادر الإسلامية الموثوق بها فى السيرة النبوية لا قيمة لها فى الوسط الاستشراقى عند هؤلاء المستشرقين ، والذين يعتمدون فى دراستهم هذا المنهج .

والقرآن الكريم لم يأت كتابا يؤرخ لحياة الرسول - ﷺ - وإن تناول بعض الجوانب من سيرته فإن ذلك كان بمثابة تأصيل لقضايا عقدية وتشريعية ، وإنما جاء كتاب عقيدة وشريعة ، وليس كتابا تاريخيا بالمفهوم الاستشراقى الخاطئ .

ولعل المقصد من وراء هذا الزعم هو تجريد القرآن الكريم من السمة الدينية والروحية وإغضاء الطرف عما جاء به من أصول عقدية وتشريعية ، والقرآن الكريم وإن تحدث عن بعض الجوانب التاريخية للأمم السابقة فلم يكن سوقا يتمحض للسرد التاريخى ، ولا يخضع لاتجاهات القصاص ، ولا

---

(١) نقلا عن المرجع السابق ص ١٣٠ ، ١٣١ .

لفنون الرواية من حسن الحبكة الروائية المعروفة عند الرواة التى تطلب تغيير الخاتمة وتطويعها ، فضلا عن أحداث القصة لهدف الكاتب واتجاهه الروائى . وإنما يتمحض لاستخلاص العبر والعظات ، والتركيز على الجوانب العقدية والأخلاقية والتشريعية فى دعوات الرسل .

وهو لا يؤرخ لذات التاريخ ، وإنما يسوق بعض القصص فى معرض الاستدلال وبيان وحدة الرسالة الإلهية وتوضيح مقاصدها . وربما كان هذا الاتجاه لدى بعض المستشرقين سببا فى تشكيكهم فيما لم يرد فى القرآن الكريم من أحداث (فقد مكنهم هذا من عملية انتقاء مغرضة ذات طابع هدمى معاكس ، وهى التشكيك ، أو نفى كل رواية لا ترد مؤيداتها فى القرآن الكريم ، ولا سيما إذا كان فى هذه الرواية تمجيد للنبى - ﷺ - إذا كان فى نفيها تأكيد لإحدى وجهات النظر الاستشراقية .

فمثلا تجد (سبرنكر يذكر أن اسم النبى - ﷺ - ورد فى أربع سور من القرآن الكريم هى سورة آل عمران ، والأحزاب ، ومحمد ، والفتح وكلها سور مدنية ، ومن ثم فإن لفظة (محمد) لم تكن اسم علم للرسول - ﷺ - قبل الهجرة ، وإنما اتخذه بتأثير قراءته للإنجيل واتصاله بالنصارى ، وقد يتوجب أن نسأل سبرنكر هنا .

إذا كان النبى - ﷺ - قد التقط اسم محمد من خلال قراءاته لنبوأت الإنجيل - فأين ذهب إذن محمد الحقيقى الذى بشر به العهد القديم) (١) .

وإذا ماتأملنا قول المستشرق در منغهم السابق ألفينا أنه لا ينتقد الاتجاه النقدى الاستشراقى للإسلام أو لا ينفيه كحركة نقدية ، ولكنه ينتقد الغلو فيه على نحو ما سبق بيانه ، ولكن يبقى الأصل النقدى فى الفكر الاستشراقى

---

(١) المرجع السابق ص ١٣١ .

ركيزة من الركائز التى قام عليها هذا الفكر وانتشرت واتسعت دائرته حتى نما وتضخم وآل إلى ما آل إليه الآن من إغراب فى الرؤية ، وقصور فى التصور ، وخطأ فادح فى كثير من النتائج التى تمخضت عن كثرة كاثرة من بحوث لا وزن لها فى ميزان النقد السديد .

وكغيره من المستشرقين الذين اعتمدوا على التشكيك والنفى فى دائرة الاستدلال اعتمد إجناس جولد تسهير فى كتاباته عن الإسلام فيما يتعلق بالحديث النبوى . فقد راح يشكك فى نسبة أحاديث ثابته وردت فى كتب السنة الصحاح كحديث (إنما الأعمال بالنية ، وإنما لكل امرئ ما نوى . فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كان هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه) .

وقال عنه : (وهو حديث متأخر ظهر كصدى لاقتناع المؤمنين بذلك . وعلاقة على قيمة أعمالهم الدينية) (١) .

وهذا مترتب على نتيجة قدمها من قبل مقتضاها كما يقول : (لا نستطيع أن نعزو الأحاديث الموضوعة للأجيال المتأخرة وحدها ، بل هناك أحاديث عليها طابع القدم ، وهذه إما قالها الرسول - ﷺ - أو هى من عمل رجال الإسلام القدامى) (٢) .

---

(١) أخرجه البخارى بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فى كتاب بدء الوحى ، باب كيف كان بدء الوحى إلى رسول ﷺ ، وأخرجه مسلم فى صحيحه فى كتاب الإمارة باب : قوله ﷺ (إنما الأعمال بالنية) .

وأخرجه أبو داود فى سننه كتاب الطلاق ، باب : فيما عنى به الطلاق والنيات ، والإمام الترمذى فى سننه تحقيق أحمد شاكر ، كتاب فضائل الجهاد ، باب : ما جاء فيمن يقاتل رياء الدنيا ، وقال حديث حسن صحيح : الحلبى ط (٢) ١٣٩٨ ١٩٧٨ م .

(٢) العقيدة والشريعة تاريخ التطور العقدى والتشريعى فى الدين الإسلامى مرجع سابق .

ولاحظ ما يلى :

١- تعليقه على حديث إنما الأعمال بالنية بقوله (حديث متأخر) معناه ، أنه حديث موضوع ومنسوب إلى رسول الله ﷺ بدليل نهاية قوله هذا ، مع أنه كما قال عنه الترمذى (حديث حسن صحيح) فضلا عن أنه ورد فى الصحيحين .

٢- إنه لا يقصر الوضع على الأحاديث الموضوعية فحسب ، وإنما يريد أن يوسع من دائرة الوضع فى الأحاديث ليشمل الأحاديث الصحيحة وغيرها كما فى النص الثانى .

وهو يهدف من وراء ذلك إلى التشكيك ليس فقط فى أحاديث بعينها ، وإنما يأخذ ذلك تكأة له فى التشكيك فى السنة كلها ، كمصدر قيم من مصادر الشريعة ومصدر قوى من مصادر الاستدلال .

وهكذا ركز المستشرقون فى الاستدلال فى ميدان الدراسات الإسلامية على التشكيك فى الثوابت والأصول العقدية والتشريعية الإسلامية ، وعمدوا إلى نفى كثير من جوانب سيرة الرسول - ﷺ - .

وقد بلغ بهم من الاستهانة بالاتجاه النقدى ، وعدم اعتباره واحترامه التشكيك حتى فى المسميات فقد شككوا فى اسم الرسول ﷺ ، وفى أحاديثه الصحيحة ، وليس أدل على هذا من الغرض ، وعدم النزاهة فى البحث ، والاستقامة فى القصد .

ثانيا : الافتراض فى الاستدلال .

أما ما يتعلق بالافتراض فى عمليه الاستدلال فى الدراسات الاستشراقية فيما يتعلق بقضايا الإسلام فيتمثل فى قول المستشرق رودلف : (إنا

لمضطرون أن تفترض أن اليهودية والمسيحية قد عرفتا السبيل على نحو ما إلى مكة التى يعنينا أمرها كثيرا ، لأنها موطن محمد - ﷺ - وإن لم يكن ثم ما يثبت أنه كان بها يهود أو مسيحيون فى عهد محمد ، ومن العسير أن نظن أنه بها كثيرا منهم ، وإلا لاحتفظت لنا السير بأنباء أكثر إسهابا مما تناهى إلينا) (١) .

ويقول فى موضع آخر : (ليس هناك علم يقنى بأنه كان هناك يهود أو نصارى بمكة ، وما نقل عن الديانتين قد يكون بواسطة التجار ، ومن هم أولئك التجار ، وما مدى ما نقلوا ؟ ومن الذين قابلهم محمد ؟ فإذا افترضنا أنه كان هناك كتابيون فمتى قابلوا محمدا ؟ وما مبلغ علمهم ، ومامقدار ثقافتهم ؟ كل ذلك مما لا يقين فيه ، وإنما هو مجرد افتراض ، وهو لا يكفى أن يقوم عليه حكم علمى) (٢) .

مثار النقد :

إذا تأملنا هذين النصين لرودلف نتبين منهما ما يلى :

١- إنه اضطر إلى افتراض وجود النصارى فى مكة كدليل على إثبات تأثير محمد باليهودية والنصرانية فى زعمهم !!

٢- أن الافتراض نابع عن إفلاس فى إنشاء الدليل الصحيح الذى يؤيدهم فى دعواهم وإلا لما لجأوا إليه .

٣- أو أنهم لجأوا إليه بعد إقصاء الأدلة الصحيحة من مادة الاستدلال فى ميدان البحث .

٤- اعتراف واضح أنه لم يكن هناك دليل صحيح ، ولا علم يقينى على

---

(١) (٢) نقلا عن صور استشراقية د. عبد الجليل شلبى ص ٥٠ ، ٥٥ دار الشروق ط (٢) ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م .

صدق الافتراض !! وغريب مع هذا أن يلجأ إليه !!

٥- افتراض أن يكون هؤلاء النازحين إلى مكة - فى افتراض رودلف - من التجار ولكنه لم يبين مع هذا على وجه القطع وبالتحديد من قابل منهم سيدنا محمداً ﷺ ، ولا مبْلَغ علمهم ، ولا مقدار ثقافتهم !!

٦- اعترافه بعدم كفاية هذا المنهج الاستدلالى القائم على الاقتراض لأن يقوم عليه حكم علمى .

وهكذا يتضح أن الاضطراب لم يكن لينفك عن دائرة الافتراض ، وأن المستشرقين أنفسهم يتشككون فى جدوى هذا الافتراض ، وما يمكن أن يترتب عليه من نتائج ، ويتمخض عنه من أحكام .

ونحن لا نعتمد دليلا يتشكك منشئوه فى كفايته وصدقه وإفادته العلم على وجه اليقين ، ولا يحتمل إلا الظن والحدْس .

ويكفى أن نقابل الافتراض بافتراض مماثل ، لأنه إن صح الافتراض منهجا فى الاستدلال فلنتعامل مع هذا الدليل بافتراض خطئه ، وافتراض بطلانه .

لعله قد اتضح من هذا خطأ الافتراض والتشكيك والنفى فى دائرة الاستدلال ، لأنه لا ينبنى عليه حكم علمى صحيح على وجه يفيد اليقين والقطع ، ويرفع الخلط واللبس والخطأ فى نتائج البحث وخاصة فيما يتعلق بالاسلام من قضايا .

الفصل الثالث

تحطيم قيود الدليل لتعميم الحكم

الفصل الثالث

تحطيم قيود الدليل لتعميم الحكم

لا يخفى أن من ضروريات المنهج الاستدلالى نقل الدليل دون المساس بإطاره العام ، والاحتفاظ بخصائصه ، بحيث لا تقترب من قيود الدليل يدعابثه مغرضة فتطلق قيوده فى محاولة لتوسيع دائرته ، وبغية تعميم الحكم الذى يحتوى عناصره فى قضية ما ليطلق على قضايا أخرى قد تختلف عنها فى المضمامين والخصائص .

ولا مرية أن مخالفة هذه القاعدة فى الاستدلال الصحيح - الاحتفاظ بخصائص الدليل وإطاره العام - لها دلالتها الخطيرة وآثارها السيئة على مسارات البحث العلمى ، وعلى سلامة نتائجه .

إذ أن هذه المخالفة - والتى تتمثل فى تحطيم قيود الدليل لتعميم الحكم - تقتضى تحميل الدليل من المعانى مالا يحتملها ، وانتزاع أحكام منه لم يسعها،وتكوين تصورات معينة من خلاله يضيق أفقه عن احتوائها ، وإقحاما له فى قضايا يجعله فى غربة تامة عنها .

وحتما سينشأ عن هذه المخالفة واقتفاء هذه القاعدة الاستدلالية لدى المستشرقين خلط فى الأحكام مما سيؤدى إلى الالتباس والخلط فى المفاهيم والتصورات يؤول إلى خبط فى النتائج .

وإذا نظرنا إلى الدراسات الاستشراقية سنجد أنها اعتمدت فى كثير من الأحيان على هذه القاعدة الخاطئة فى الاستدلال ، مما أفسد طبيعة البحوث الاستشراقية فى مجال الدراسات الإسلامية ، وأوقع المستشرقين فى أخطاء علمية لا حصر لها وجعلها دراسات عديمة الجدوى.

مثال :

يقول المستشرق اسبينوزا وقد تحدث عن التراث الإسلامى : (إنه مأخوذ

من العصر التركى) حتى إنه ليحدث عن الأتراك ويقصد بهم المسلمين) (١) .

وإذ تأملنا هذا النص سنجد فيه أخطاء فادحة فى الاستدلال والحكم منها ما يلى :

١- أنه اعتبر العصر التركى مادة ثرية للحديث عن الإسلام فحطم قيوده ، وعمم تصوراته ، وانطباعاته الفكرية والثقافية عليه وجرده من خصائصه وانطباعاته وجعل قضاياه الجزئية قضايا كلية،وحاكم الإسلام إليه !!

٢- أنه تحدث عن الأتراك وقصد بهم المسلمين ، فلم يكن حديثه عن الأتراك خاصا بهم ، وإنما عممه وأطلقه على سائر المسلمين .

٣- أنه حاكم الإسلام إلى واقع المسلمين وجعل الفكر الإسلامى أساسا للحكم على الإسلام ، مع أن الاسلام يقاس بذاته ، ولا يخضع للقياس بما تمخض عنه من حركات فكرية متنوعة ومتعددة سواء مثلت مذهبا أو اتجاها ، أو نزعه فضلا عن أنه هو الحاكم الذى يحكمها ، والضابط الذى يضبطها.

وهكذا أدت هذه المنهجية الخاطئة فى الاستدلال إلى خطأ فادح فى النتائج وانحرافات واضحة فى مسارات البحث فى الوسط الاستشراقى ، حيث (جاءت بنتائج غير صادقة وبتصورات لا تعكس حقيقة الإسلام ، ولا واقع المسلمين) (٢) .

على أن محاكمة الإسلام من خلال واقع المسلمين قد أدى بطبيعة الحال إلى تغيير صورة الإسلام والانحراف بأصوله وقواعده العقدية والتشريعية فى الفكر الاستشراقى عن طبيعتها ، وتجريدها من مصدريتها وسمتها الإسلامية !!

---

(١) نقلا عن مقدمة د. حسن حفنى لترجمة كتاب رسالة فى اللاهوت والسياسة لاسبينوزا ص ٧ الهيئه المصرية العامة للتأليف النشر ١٩٧١ م .

(٢) دراسات استشراقية وحضارية ص ٣٦٤ مرجع سابق .

الفصل الرابع

انتزاع الدليل من المخيلة

الفصل الرابع

انتزاع الدليل من المخيلة

إن المنهجية السليمة للبحث العلمى تقتضى أن يكون للدليل وعاءا يستقى منه ، ومادة واقعية ينتزع منها عناصره ، ودائرة ملموسة ومحسوسة أو معقولة ينشأ من خلالها ، ويَستمِد منها مقوماته وواقعيته ومصداقيته .

أما أن ينشأ بمعزل عن الواقع ، وتستمد عناصره من مخيلة الكُتَّاب ، ويستل من قرائحهم فذلك مالا يتوائم مع طبيعة الاستدلال ، ولا يتفق ، بل ولا ينطبق مع مقررات البحث العلمى وقواعده ومرتكزاته .

ولا مرية أن اتباع هذه النزعة اللاواقعية واللاموضوعية فى الاستدلال ، ومخالفة مناهج البحث العلمى سيجعل أصحابها فى مأزق حرج ، ويضع بحوثهم العلمية فى منعطف خطير ... حيث لا توسم إلا بالخيالية الجامحة ، واللاموضوعية ، وتجرد البحث من الأمانة العلمية ، والتجرد للحق ، والحيدة والنزاهة فى البحث .

والنتائج المترتبة على دليل يُنزَع من المخيلة دون أن تَستند إلى واقع يؤيدها لا تعدو كونها إفرازات فكرية خبيثة تنذر بخطر شديد فى الأوساط العلمية إذا وضع فى الاعتبار أن الخيال والواقع نقيضان لا يجتمعان ، وضدان لا يتفقان .

على أن الواقع يجب أن يحكم الخيال ، وأن يقاس الخيال به ويخضع له ، وليس العكس ، وإذا ما أردنا لبحوثنا نوعا من النُقلة ، ودرجة فى الارتقاء ، فيجب أن نتحاكم فيها إلى الواقع ، ولا نلتفت - مطلقا - إلى الخيال ، لأنه سيصيب درساتنا بالعقم ، واللاواقعية .

ولم تخل الدراسات الاستشراقية من هذه الأخطاء المنهجية فى الاستدلال ، فقد سيطرت النزعة الخيالية ، على كثير من البحوث فى مجال الدراسات الإسلامية ، وكانت المخيلة مصدرا من مصادر إنشاء الدليل لديهم ، مما ساهم فى إثراء الخيال الاستشراقى ، وجعله مع الواقعية على طرفى نقيض !!

فجاءت البحوث المعتمدة على هذه النزعة مجافية للواقع متناقضة مع الرؤى والتصورات الإسلامية فضلا عن الأصول والقواعد الدينية والعلمية والمنهجية ... بالغة فى الاغتراب

وماذا ينتظر من بحوث قامت على هذه النزعة !!!

مثال :

قال بعض المستشرقين – زاعما – : (إن محمدا ـ ﷺ ـ مات فى نوبة سكر بَيِّن ، وإن جسده ملقى على كوم من الروث قد أكلت منه الخنازير !!! وأن لحم الخنزير والخمر حرما فى الإسلام لسبب هذا) (١) !!!

وقال آخرون فى معرض الاستدلال على أن القرآن الكريم من عند محمد ـ ﷺ ـ وليس من عند الله تعالى : (إن محمدا درب الحمامة لتنقر حبوب القمح من أذنه ، وبذلك أقنع العرب ، أن تلك الحمامة هى رسول الروح القدس الذى كان يبلغه الوحى الإلهى ، وعمت هذه الحكاية المختلقة إلى درجة أن الشاعر الإنكليزى جون ليدهيت (القرن الخامس عشر) الذى وضع سيرة لحياة محمد (ﷺ) سمى لون تلك الحمامة " حليبا أبيض "

---

(١) الاستشراق وجه للاستعمار الفكرى د الجيرى ص ٢٢٠ مرجع سابق . و راجع الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى د. زقزوق ص ١٤٠ دار المنار ط (٢) ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م .

وردد هذه القصة المضحكة مؤرخون أوربيون مثل وولتررولى (المعاصر لشكسبير بل إننا نقرأ عن شكسبير ذاته فى : **هنرى الرابع** الفصل الأول ، المشهد الثانى " كيف أن الملك كارل الثانى يتوجه إلى جان دارك صارخا : ألم تلهم الحمامة محمدا ؟ .... أما أنت فإن النسر ، ربما ألهمك ! "

وتنمو دائرة التخيل الأوربى فى هذا المجال ، وصولا إلى القول بأن الإسلام أخذ فكرة الثالوث المقدس من المسيحية (الأقانيم الثلاثة) ، ولكن ضمن توجه وثنى لا توحيدى ، ويزعم مروجو هذه القصة أن المسلمين يعبدون ثلاث كائنات جنية خفية أو ثلاثة أصنام كبرى هى:ما هو مت (محمد) ، وأبوللو ، ووترفونيوس) (١)٠

ولعلك ترى كيف أغرب هؤلاء المستشرقون فى الاستدلال على أن القرآن الكريم من عند محمد ، وليس من عند الله تعالى !!

وكيف أن الإسلام حرم لحم الخنزير والخمر !!

فهذه قضية كلية فى الوعى الاستشراقى الأسطورى !! وقد استمد هؤلاء المستشرقون كما ترى أدلتهم من معين الخيال الجامح زاعمين أنها ستؤيدهم فى دعواهم !!

ولن أناقش هنا هذه الأحكام الأسطورية الخيالية لإغرابها ، ولعدم واقعيتها، وإنما سأكتفى بتعليق أحد المستشرقين الذين اعتدلوا فى هذه القضية ، وهو إليسكى جورافسكى إذ يقول منتقدا هذه المنهجية البغيضة فى الاستدلال لدى المستشرقين وأتباعهم : (وللحقيقة يجب القول : إن تلك

---

(١) نقلا عن الإسلام والمسيحية إليكس جورافسكى ترجمة د. خلف الجراد ص ٧٩ ، ٧٦ مرجع سابق .

الأساطير المختلقة تمثل سخرية مأساوية لأن النبى (محمد) - ﷺ - الذى حارب أكثر من أى مخلوق آخر عبادة الأوثان والذى حطم جميع أصنام الكعبة ، يتحول فى تصور المسيحيين إلى " صنم يؤلهه أتباعه " الذين يطلقون عليهم ازدراءا واحتقارا لقب " عبيد سارة " أو " أبناء الجارية ") (١).

وقال عن الأسطورة الاستشراقية إن محمدا - حاشاه - مات على كوم من الروث وأن الخنازير أكلت منه على أثر خمر أسكرته ، وأن الإسلام ، جعل ذلك سببا لتحريم الخمر والخنزير ، قال : إنها رواية مختلقة ، وقد كان لهذه التصورات المسيحية – الأوربية المشوهة فى بعض الأحيان نتائج طريفة ومضحكة للغاية) (٢) .

ورأى أن القول بأن شرب الخمر ، وأكل الخنزير قد حرما فى الإسلام فى مراحل مبكرة للتشريع الإسلامى ، وأن القرآن الكريم قد نزل بذلك وحيا على رسول الله ﷺ أرى أنه كاف جدا فى الرد على هؤلاء المستشرقين ودحض مزاعمهم الأسطورية ، وبيان خطئهم الفادح فى إنشاء الدليل ، حيث اعتمدوا فى ذلك على خيالهم الجامح ، وأطلقوا لأنفسهم نسج الأساطير بلا قيد ، وجعلوها مادة للاستدلال على أحكامهم الخاطئة والمغرضة واللاعقلانية !!!

وهكذا يتضح خطأ المستشرقين فى منهجهم الاستدلالى حيث يعتمدون على إغفال الدليل فى كثير من الأحيان فى كتاباتهم عن الإسلام .

---

(١) المرجع السابق ص ٧٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٧٧ .

الفصل الخامس

تصيد الروايات الضعيفة والشاذة

الفصل الخامس

تصيد الروايات الضعيفة والشاذة

إن المنهجية السليمة فى الاستدلال تقتضى أن تحتل الأدلة الصحيحة مكان الصدارة فى البحث العلمى ، وأن تكون هى دون غيرها مرتكزا أساسيا من مرتكزاته ، ومحورا أصيلا من محاوره .

فالأدلة الصحيحة هى التى تساعد – دون غيرها – على تكوين تصورات دقيقة علمية وموضوعية لقضية ما .

كما أنها الطريقة الوحيدة لإنشاء أحكام صادقة وواقعية وصحيحة ، وتوصل إلى نتائج علمية جادة يصبح التشكيك فيها سخفا وعبثا فى ميدان البحث العلمى .

والدليل الصحيح من شأنه أن يقطع على المغرضين كل محاولات التشكيك والارتياب فى النتائج والمفاهيم ، ويوصد باب الجدل العقيم الذى لا يهدف إلا إلى التشويه والتضليل ، وتعتيم الرؤى والتصورات .[١]

وهو مستند قوى للباحث فى وثوقه بقيمة بحثه العلمية ، وبما توصل إليه فيه من نتائج ، وما أصدر فيه من أحكام . هذا إذا كان باحثا أمينا يتصف بالحيدة والموضوعية، والنزاهة فى أهدافه وتوجهاته .

ومخالفة هذه القاعدة الصحيحة من قواعد البحث العلمى الجاد والنزيه ، فيما يتعلق بقضية الاستدلال ، واتباع غيرها ، بل ونقيضها من اعتماد الأدلة الضعيفة والشاذة مادة بديلة للاستدلال سيؤدى إلى انحراف البحث العلمى عن مساره الصحيح ، وسيوقع الباحث فى أخطاء منهجية لاحصر لها .

فالأدلة الضعيفة والشاذة لاينشأ عنها إلا تصورات ضعيفة وشاذة . مما يكون له أثره المباشر والواضح والخطير على نتائج البحث العلمى بما تضمنته من أحكام كلية أو جزئية فضلا عن أن هذه الأدلة غير معتمدة علميا ، ولا منضبطة منهجيا ، فهى تحمل بين طياتها شارات شذوذها وانحرافها .

والذى يجب مراعاته فى ميدان البحث العلمى ضرورة النظر فى أوجه الأدلة وخصائصها الذاتية ، وقيمتها العلمية فى الوسط العلمى الذى تنتمى إليه وأكرر : الذى تنتمى إلية ، فإن كانت صحيحة معترف بها وبقيمتها العلمية ومعتمدة لدى أصحابها كمادة قوية للاستدلال أخذ بها ، وخلى ما سواها ، ممالم يتصف بهذه الصفات ، ولا يختص بهذه الخصائص بقطع النظر عما إذا كانت تتحقق بذلك أم لا ، وإذا رأيت فيها ضعفا واعتلالا من وجهة نظرى ، أبديته وبينت أسبابه ، ومنشأ علته .

وانتزاع الأدلة بهذه الطريقة من وسطها الخاص بها سيجعل للأحكام المنتزعة منها والنتائج المترتبة على هذه الأحكام قيمة علمية ، سواء أكانت نتائج إيجابية أو سلبية :متفقة مع نظيراتها فى وسطها ، أو مختلفة عنها متناقضة معها، وخاصة إذا جاء هذا التناقض أوذاك الاتفاق على نحو مقنع .

وهذا المنهج فى الاستدلال يجب مراعاته فيما يتعلق بالدراسات الدينية بوجه عام ، والإسلامية بوجه خاص .

أما أن يعتمد باحث ما فى منهج الاستدلال على مالم يكن معتبرا من الأدلة ، بحيث يكون مرفوضا لضعفه وشذوذه ، مردودا لاعتلال واضح فيه ، غير معول عليه عند أصحابة ، ولا يكون مادة للاستدلال عندهم ، فإن هذا ينذر بحتمية الخطأ عند بداية الشروع فى تكوين التصورات وإنشاء الأدلة ،

وانتزاع الأحكام منها . وأنها ستأتى على نحو متناقض تماما مع مفاهيمها الحقيقية فى الوسط المنتزعة منه ، وبصورة مرفوضة من أصحابها .

وإذا نظرنا إلى الدراسات الاستشراقية المتعلقة بالقضايا الإسلامية سوف نجد – وللأسف – أنها اعتمدت فى كثير من الأحيان على هذا المنهج الخاطئ فى الاستدلال ، مما أدى إلى الخطأ فى النتائج والأحكام ، وجاءت فى صورة باهته وضعيفة وشاذة ، فافتقدت بهذا صفتها العلمية .

ومثلت بذلك أقبح صورة للبحث العلمى فى ميدان الاستشراق ، لأنها قامت على تأصيل الضعيف والشاذ الذي أنكر علماء المسلمين أوجه الاستدلال فيه ، ونبهوا على عدم الاعتراف بها كمادة علمية بعد أن بينوا أوجه اعتلالها وفسادها !!

وبينوا أن الاستدلال بها سيؤدى إلى نتائج متناقضة تماما مع كثير من أصول الإسلام وقواعده ومقرراته ، وتأتى مجافية لطبيعته ، نابية عن ذوقة وأصالته .

من ثم جاءت الدراسات الاستشراقية لتمثل إطارًا عاما للفكر الإسلامى يجمع بين المتناقضات ، والمتفق عليه والمختلف فيه ، والمقبول منه والمردود ، والمثبت والمنفى ، والصحيح والخاطئ !!

على أنها لم تكن تعنى بالصحيح منه اعتناءها بالخاطئ ، ولا بالمقبول منه اعتناءها بالمردود ، ولا بالمثبت اعتناءها بالمنفى ، ولا بالقوى منه اعتناءها بالضعيف ، ولا بالأصل فيه اعتناءها بالشاذ !!!

وكان المستشرق فيها كحاطب ليل يجمع بين الغث والسمين ، فجاءت بحوثه مليئة بالأخطاء العلمية والمنهجية !!

مثال :

ومن الأمثلة التى توضح هذا ما ذهب إليه بعض المستشرقين من الاستدلال بقصة الغرانيق فى الحديث عن الوحى الإلهى (١) لتأييد مزاعمهم من أن القرآن الكريم كتاب شيطانى !! حاشا لله .

واعتماد كثير منهم فى كتابة تاريخ الرسول - ﷺ - على الإسرائيليات ومن هؤلاء : أ . ل رانيلا (٢) عندما تناول قصة نبى الله يوسف عليه السلام فى القرآن الكريم من خلال مصادر التفسير غير الموثوق بها فى الوسط الإسلامى ، و (دالماتا الذى ألف حوالى (٤٥ صفحة) عن مبادئ النبى محمد ﷺ وحياته وعن تاريخ الإسلام الذى وصفه بالمضحك ، متخذا إطارها المرجعى من القصص والمحاورات الملفقة ، المزعومة بين الأحبار (اليهود) والنبى ... وهى الإسرائيليات) (٣) .

وم . سفارى (الذى اعتمد على أضعف الروايات التى رواها الواقدى فى كتاباته عن الاسلام . وقد جرحه علماء الأمة . فقال عنه الإمام الشافعى : كتب الواقدى كلها كذب .

ويقول ابن خلكان : (وضعوه فى الحديث وتكلموا فيه) (٤) .

لذا كانت رواياته غير مقبولة عند علماء الأمة ، وقد كان لهم منها مواقف جادة تمخضت عن رؤية نقدية ثاقبة خلصت للرفض والرد والإنكار .

على أن موقفهم من الإسرائيليات بوجه عام هو نفس موقفهم من روايات

---

(١) راجع فى هذا الاستشراق وجه للاستعمار الفكرى د. الجبرى ص ٣٨ . مرجع سابق .

(٢) فى كتابه الماضى المشترك بين العرب والغرب : أصول الآداب الشعبية الغربية - ترجمة د- نبيلة إبراهيم ص ٢٧ وما بعدها . عالم المعرفة رمضان ١٤١٩ هـ / يناير كانون ١٩٩٩م .

(٣) الإسلام والمسحية إليسكى جورافسكى ص ٨٣ مرجع سابق . وقد قال ذلك فى معرض النقد لبعض الاتجاهات الاستشراقية فى دراساتهم للإسلام ، وكتاباتهم عنه .

(٤) الاستشراق وجه للاستعمار الفكرى د. الجبرى ص ٢٣١ ، مرجع سابق .

الواقدى ، فقد بينوا خطأ نسبتها إلى الرسول - ﷺ - وكذب رواتها عليه ، وأخضعوها لقواعد النقد عند المحدثين ، فبينوا هناتها ، ووضحوا أخطاءها ، وأشاروا إلى مواطن الاعتلال فيها ، وحكموا بتهافتها ، وبينوا أنها لا تصلح لأن تكون مادة لتكوين تصورات معينة عن الإسلام ، ولا أن تكون موضوعا للاستدلال ، لأنها تتناقض مع آيات القرآن الكريم والثابت من السنة الشريفة ، وما أجمع عليه علماء المسلمين - رضى الله عنهم أجمعين . وهذا ما يبدوا واضحا من خلال نقدهم لقصة الغرانيق والتى جعلها المستشرقون مادة للاستدلال ونصها : أن الرسول - ﷺ - وهو بمكة قرأ عليهم والنجم فلما بلغ (**أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى**) قال : إن شفاعتهن ترتجى ، وسها رسول الله - ﷺ - ألا إنما ذلك من الشيطان ، فأنزل الله تعالى:(**وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم** (١) .

وقد ورد فيها روايات أخرى ، وهذه وتلك روايات أثبت أهل التحقيق بطلانها ، وقالوا بأنها محض كذب .

وقد ذكر هذا فى معرض التفنيد كل من الإمام الألوسى (٢) والإمام ابن كثير (٣) ، والإمام العينى (٤) والإمام الرازى (٥) .

على أن الإمام الألوسى قد بين أن التفسير الصحيح للآية : (أن

---

(١) الحج : ٥٥ .

(٢) روح المعانى م ٩ جـ ١٧ ص ١٧٧ دار الفكر بدون تاريخ .

(٣) الإمام بن كثير جـ٣ ص ٢٤٩ دار الفكر بدون تاريخ .

(٤) عمدة القارى جـ٩ ص ٦٦ دار إحياء التراث العربى بيروت . بدون تاريخ .

(٥) مفاتيح الغيب للإمام الرازى جـ ١١ص ٢٩٦ - ٣٠٨ - دار الغد العربى ط (١) ١٤٢٦هـ - ١٩٩٢م .

النبي ﷺ أراد هداية لكل من لم يؤمن بالله تعالى ، وأن يدخل فى الإسلام . ولم يكن ذلك مراد الله تعالى وقدره) (١) .

وإلى هذا ذهب الإمام الرازى والشيخ سيد قطب (٢) وهم بهذا يتفقون على أن الراجح فى معنى (الأمنية فى الآية الكريمة : حالة قلبية ، وليس المقصود منه القراءة، وهو ما ذكره الإمام الرازى ودافع عنه .

وهكذا (أخذ المستشرقون بالخبر الضعيف أو المكذوب فى بعض الأحيان ، وحكموا بموجبه ، واستعانوا بالشاذ والغريب فقدموه على المعروف والمشهور ، واستعانوا بالشاذ ولو كان متأخرا ، أو كان من النوع الذى استغربه النقاد ، وأشاروا إلى نشوزه ، وقد تعمدوا ذلك لأن هذا الشاذ هو الأداة الوحيدة فى إثارة الشك) حول قضايا الإسلام .

والغريب أن يعمل هؤلاء المستشرقون فى موطن الاستدلال كل هذه الانتقادات ، ويأبوا إلا أن يستشهدوا بهذه القصص المزعومة والمتهافتة والباطلة على تصورهم الباطل بأن الرسول - ﷺ - كان يقرر الوثنية ، بينما كان يدعو إلى التوحيد ، وأنه – حاشاه – سجد لهذه الأصنام الثلاثة – اللات والعزى ومناة – مع المشركين !!!

وهذه محض افتراءات لم يقم عليها دليل صحيح ، ونتائج خاطئة لاوزن لها فى ميزان البحث العلمى نشأت عن خطأ فادح فى الاستدلال ، وتحكم فى اتجاهات البحث .

---

(١) روح المعانى م ٩ جـ ١٧ ص ١٧٧ .

(٢) فى ظلال القرآن الشيخ سيد قطب جـ ٥ ص ٦١١ وما بعدها – دار إحياء التراث العربى لبنان ط (٧) ١٣٩١هـ – ١٩٧١م .

ولمزيد من الدراسة والمعرفة للإسرائيليات راجع الإسرائيليات فى التفسير والحديث د. محمد الذهبى ص ٢٠٨ مجمع البحوث الإسلامية ١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م .

ويدل هذا المنهج الاستشراقى الخاطئ فى الاستدلال فى الدراسات الاستشراقية على أن المستشرقين يدفعهم الهوى والتعصب للنصرانية ضد الإسلام ، وأنهم لا يندفعون بدوافع علمية جادة ، ولا بموضوعية صادقة تبحث عن الحق فتعلنه وتعلى قيمته وتقدره قدره ، ولكنها اتجاهات تبحث عن الحق فتشوهه وتثير الشبهات ، حوله !! بغية فتنة الناس فى دينهم وصرفهم عنه !!

لعله قد اتضح من خلال ما سبق خطأ كثير من المستشرقين الفادح فى الاستدلال والناجم عن تأصيلهم الضعيف والشاذ من الأدلة كمادة أصيلة للاستدلال فيما يتعلق بالدراسات الإسلامية ، مما أدى بهم إلى أخطاء فادحة فى التصورات والأحكام .

الفصل السادس

إغفال الدليل

الفصل السادس
إغفال الدليل

إن المنهج العلمى الصحيح والقويم يجعل الحكم قيد الدليل ، ويوجب على الباحث أن يقدم الدليل الذى يؤكد صحة حكمه وصواب رؤاه وتصوراته لما يعن له من قضايا يجعلها مثارا للبحث والدراسة .

فالقاعدة المنهجية فى دائرة الاستدلال تقتضى أن يأتى الحكم مقرونا بالدليل ، وإلا لصار الحكم ضربا من إنشاء محض لم يستطع أن يمرق من دائرة الاحتمال ، باعتبارها غاية وسمة عامة لهذا الحكم ، لأنه عندئذ يكون محتملا للصدق والكذب ، وما تردد بينهما من أحكام لا تعدو كونها إنشاءات ووجهات خاصة ، وتفسيرات ضيقة ، لم يكن لها فى الواقع سند ، ولو كان ضعيفا !! وليس لها دافع إلا الهوى والتشهى !!

وتجرد المنهج الاستدلالى من هذه القاعدة المنهجية سيفقد البحث العلمى قيمته ، وعلميته ، وينزع منه عناصر القوة والوثوق به ، إذ أن هذا الحكم المجرد من الدليل سيصطدم حتما بالأفكار فى الوسط المغاير ، عندما أتناول قضية من قضاياه إن لم يصطدم مع أصول دينية راسخة فيه ، وقواعد ثابتة وقضايا كلية صارت من المسلمات التى لا تقبل الجدل ولا النقاش ..

ولا يعدو عندئذ كونه فرقعة إعلامية موجهة فى ميدان البحث العلمى ، وهو ليس مثار فرقعات تجذب الرأى العام لفكرة ما مجردة من دليل ، بقطع النظر عن صحتها وخطئها ، وصدقها وكذبها . إنما هو ميدان لا يقبل إلا الوثائق والقواطع من الأدلة ، والتى تفيد اليقين لا الشك ، وتخرج الرأى من الاحتمال بالدليل إلى نتيجة إما صحيحة ، وإما خاطئة . ليتضح مسار البحث العلمى فى بحث ظاهرة من الظواهر ، أو قضية من القضايا بنتائج إيجابية أو سلبية .

وإذا ما نظرنا إلى الدراسات الاستشراقية فيما يتعلق بالجانب الإسلامى

سنجد أنها وللأسف قد اعتمدت على هذه المنهجية الخاطئة فى الاستدلال فى مواطن كثيرة جعلتها تسيطر على مساحات عريضة فى الفكر الاستشراقى إلى أن صارت مرتكزا من مرتكزات المنهج الاستشراقى وسمة من سماته !!

الأمر الذى أفقد الدراسات الاستشراقية العمق والموضوعية ، وجعلها رؤى وتصورات سطحية فجة تتأبى على الموضوعية وتتناقض مع أصول الإسلام وقواعده وتشريعاته ٠

مثال :

يصف أحد المستشرقين – وهو راهب دومنيكانى معاصر لدانتى القرآن الكريم والرسول ﷺ قائلا : – (بما أنه لم تكن للشيطان قدرات ذاتية كافية لوقف انتشار المسحية فى الشرق ، اخترع – يقصد الرسول محمد ﷺ – " كتابا " يمثل حلقة وسطى بين العهدين القديم والجديد ، واستخدم لأجل هذه الغاية الشريرة " وسيطا " من طبيعة الشيطان ذاته أما الكتاب فهو القرآن ، بينما الوسيط هو محمد ، الذى يجسد دور المسيح الدجال) (١) !!!

ووضع مستشرقون آخرون أسطورة نشرت عن النبى محمد - ﷺ - فى أوربا هى أنه (ساحر كبير ، استطاع عن طريق السحر والخداع تحطيم الكنيسة فى إفريقيا وفى الشرق ، وأنه سمح بالدعارة والفسق ، لكسب مزيد من الأتباع) (٢) ٠

(١ ،٢) نقلا عن الاسلام والمسيحية إليكس جورافسكى ترجمة د. خلف محمد الجراد تقديم د. محمود حمدى زقزوق ص ٧٤ وما بعدها . مرجع سابق وثمة نماذج أخرى كثيرة من هذه الأساطير والأكاذيب المغرضة عن الاسلام وكتابه ورسوله ﷺ وهذا قد ذكرت المستشرقة كارين أرمسترونج العديد منها فى معرض النقد ، ومحاولة لتعديل التصور الغربى للإسلام . راجع ذلك فى كتابها محمد (ﷺ) ص ٣١ – ٤٣ ترجمة د. فاطمة نصر ، د. محمد عنانى سلسلة سطور – دار اللواء – رقم (١) ط (٢) ١٩٩٨

لدرجة أن دانتى فى الكوميديا الإلهية يصور النبى ﷺ بأنه (فى الفلك الثامن للجحيم) (١) !!!

وإذا تأملنا هذين النصين ألفينا ما يلى :

١- أن هذه الأحكام جاءت مجردة من الدليل ، ومثلت ثوابت أو مسلمات فى الفكر الاستشراقى سيطرت على مساحة عريضة منه !!!

٢- أنها تنم عن عداء محكم ضد الإسلام ونبيه وإصرار مبيت على التهكم به وبالإسلام ، لدرجة أن يصور (كتابه) على أنه حيلة شيطان أن محمدا - ﷺ - حاشاه - ساحر وذو طبيعة شيطانية !! وأنه جاء ليمثل دور المسيح الدجال ، وأنه فى الفلك الثامن من الجحيم !!!

إلى غير ذلك من الصفات الخبيثة التى لا تليق بالعوام من الناس فضلا عن أن يكون صديقا نبيا !!!

٣- وأعتقد أن هذه الأحكام صدرت فى غيبة من الوعى من عقلية حاقدة دفعها حقدها إلى تعطيل وسائل إدراكها عن تفهم جوهر رسالة الإسلام واحترام مكانة الأنبياء وتقديرها من ثم فإن بحوثهم التى عقدوها بهذه المنهجية الخاطئة كانت بحوثا عقيمة تشير إلى مدى السفة والعبث بالبحث العلمى ونتائجه ، والذى انحط إليه كثير من المستشرقين فى كتاباتهم عن الإسلام ، ومدى التلاعب بالعقلية العامة، وعدم احترامها وتقديرها .

على أن تجرد هذه الأحكام من الدليل ، ومجيئها على هذه الصور البغيضة إنما تدل على إفلاس فى الحجة ، وعجز عن الإقناع ناشئ عن عجز فى الإدراك ، وسوء فى القصد والتوجه .

---

(١) المرجع الأخير ص ٤٤ .

فمن ذا الذى يستطيع من المستشرقين أن يأتى بدليل على أن القرآن الكريم حيلة شيطانية !! وقد قال الله تعالى فيه **(لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)** (١) !!!

تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

ومن ذا الذى يستطيع أن يسوق الدليل على أن الرسول محمد ـ حاشاه ـ ﷺ ـ ذو طبيعة شيطانية ، وأنه ساحر ، وفى الفلك الثامن من الجحيم ؟ !!

فهل نزل دانتى إلى هذا الفلك ورأى فيه محمدا ـ ﷺ ـ أم أنه تخيله وادعاه بدافع الكراهية والبغضاء والحقد الدفين على الإسلام ونبيه !!

إن هذا إلا إفك افتروه وأعانهم عليه قوم آخرون ، وقد جاءوا ظلما وزورا !!

ولسناهنا بصدد مناقشة هذه الشبهات ويكفينا فقط الإشارة إلى كذبها وزورها وبهتانها وتهافتها وبطلانها .

وهكذا يتضح مدى غياب هذه المنهجية الصحيحة وهى الحكم المقرون بالدليل الصادق وتعمد إغفال الأدلة فى دائرة إصدار الأحكام بطريقة " اعتباطية " وبدوافع نفسية جنونية على مسار البحث العلمى الموضوعى النزيه والمحايد ، ويتضح مدى إفسادها للعقلية الغربية ، والذوق العام فى الفكر الأوربى !!

وإلى خصيصة أخرى من خصائص المنهج الاستدلالى لدى المستشرقين .

---

(١) فصلت : الآية ٤٢

الفصل السابع

تجاهل الحقائق عند إنشاء الدليل

الفصل السابع

تجاهل الحقائق عند إنشاء الدليل

من المفترض طبقا لما تمليه قواعد البحث العلمى أن يدقق الباحث نظره فى القضية مثار البحث ، وأن يقلبها على كافة وجوهها ، وأن يقرر ما تتضمنه من حقائق ، ويومئ إلى ما تطويه من أباطيل ،

كما أنه من المفترض فى هذا الصدد أن يستقى مفهوم القضية من معينها الأصلى ، وأن تتكون تصوراته لها ورؤاه بها من الوسط التى تنتمى إليه ، وألا يكون نابيا عن خصائصه الفكرية ، ومناهجه العلمية ، ولا عن مميزاته وسماته الدينية التى تحفظ له كيانه وتميزه عن غيره من الأوساط ، وتخصه بما لم يختص به غيره من خصائص .

ويجب على الباحث أن يستقى أدلته من هذا المحيط ، وألا يشذ فى إنشائها عن هذا الوسط ، وألا يمرق من هذه القيود المنهجية ، وأن تتفق مع ما تضمنه من مقررات ، ثم بعد ذلك ينظر فى مصداقية الأدلة ،، ومدى اعتبارها موصلة إلى نتائج صحيحة أم لا ، وأنها توصل إلى نفس المقررات أم تصطدم معها .

ثم يعيد النظر فى أسباب هذا التصادم إن وجد حتى يتحقق من نتائج بحثه ، ويضمن لها الحيدة والموضوعية .

أما أن يتجاهل مقررات هذا الوسط الدينية والفكرية ، ولا يقدر حقائقة قدرها ، ولا يوليها من الأهمية ما يجب أن تولى به فى هذا الوسط ، ثم يستقى الدليل من وعاء تصوره الخاص المشوب بالتجاهل المتعمد ، والإقصاء المفتعل ، فإن هذا سيسلمه حتما إلى خطأ فادح فى الاستدلال يؤدى إلى

خطأ أفدح فى النتائج !!

وهذا هو الخطأ الذى لم ينفك المستشرقون عنه فى منهجهم الاستدلالى فى دراسات للإسلام وحركته الفكرية ، فقد راحوا ينكرون الكثير من أصول الإسلام ، ويتجاهلون الكثير من حقائقه التى لا تقبل الجدل والنقاش لثباتها ووضوحها .

ومن هذه الأصول والحقائق التى انكروها أو تجاهلوها ما يلى :

١- إلهية القرآن الكريم .

٢- نبوة سيدنا محمد - ﷺ - .

٣- عالمية الاسلام .

٤- أصالة العقائد الإسلامية .

٥- استقلالية الشريعة الإسلامية (١) .

فتجاهلوا إلهيّة القرآن الكريم ، وأنكروها ، وقالوا ببشريته !!

وأنكروا نبوة الرسول - ﷺ - ، وتكلفوا فيما خلعوا عليه من أوصاف بذيئة بلغت من التسفل والانحطاط غاية فى الإغراب !!

ومن اعترف منهم بالإسلام جعله خاصا بالعرب وحدهم ، ونفى أن يكون دينا عالميا يدين به الثقلين !!

وأجمع كثرتهم - بدافع العدواة والحقد - على عدم أصالة الإسلام عقيدة وشريعة فزعموا أن الإسلام - فى عقيدته - صورة مبسطة عن اليهودية

---

(١) وممن ذهب إلى هذا من المستشرقين في رقم (١) ، (٢) ، (٣) مونتجمرى وات فى كتابه الإسلام والمسحية في العالم المعاصر ترجمة د. عبد الرحمن الشيخ ص ٣٥ ، ٥٣ ، وراجع كتاب صلة القرآن باليهودية والمسيحية د. ولهلهم رودلف ترجمة عصام الدين حفنى ناصف ط (١) بيروت ١٩٧٤ - ودراسات في حضار الإسلام هاملتون جب ترجمة د. إحسان عباس وآخرون ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ دار العلم للملايين بيروت ط (٣) نيسان إبريل ١٩٧٩م وتراث الإسلام جوزيف شاخت ، وكليفورد بوزورث ترجمة د. حسين مؤنس ود. إحسان صدقى العمد جـ٢ ص ٩٦ وما بعدها . مرجع سابق . وغيرهم كثيرون ولسنا هنا بصدد مناقشة هذه الشبهات ، فليس هذا موضوع بحثنا ،إنما موضوعنا نقد المنهج الاستدلالى . ونكتفى بالإشارة إلى بطلان هذه التصورات وفسادها وضرورة الرجوع إلى المصادر التى تعنى بهذا اللون من البحث والدراسة .

والنصرانية ، وأنه – فى جانبه التشريعى – متأثر بالقانون الرومانى !!

وثمة قضايا كثيرة ، وأصول ثابتة راسخة فى الإسلام تزول الجبال ولا تزول ، أنكروا حقيقتها ، وتجاهلوا فرضيتها وأصالتها !!

وراحوا ينشئون الأدلة لتأييد زعمهم من خلال هذه التصورات الخاطئة التى لا تعدو كونها رؤى شخصية من خلال هذه المفاهيم الجديدة التي تتنافى مع أصول الإسلام ومقرراته ومبادئه .

مثال :

يدلل المستشرق ريتشارد بل على زعمه بشرية القرآن الكريم بقوله : (إن محمدا - ﷺ - قد اعتمد فى كتابته القرآن الكريم على الكتاب المقدس ، وخاصة على العهد القديم فى قسم القصص . فبعض قصص العقاب كقصص عاد وثمود مستمد من مصادر عربية ولكن الجانب الأكبر من المادة التى استعملها محمد ليفسر تعاليمه ويدعمها قد استمدها من مصادر يهودية ونصرانية ، وقد كانت فرصته فى المدينة للتعرف على ما فى العهد القديم أفضل من وصفه السابق فى مكة حيث كان الاتصال بالجاليات اليهودية فى المدينة ، وعن طريقها حصل على قسط غير قليل من المعرفة بكتب موسى على الأقل) (١).

ويزعم المستشرق " لوت " { (أن النبى - ﷺ - مدين بفكرة فواتح السور من مثل : حم ، وطسم ، والم ... الخ لتأثير أجنبى ، ويرجح أنه تأثير يهودى) ظنا منه أن السور التى بدئت بهذه الفواتح مدنية خضع فيها النبى - ﷺ - لتأثير اليهود } (٢) .

(١ ، ٢) نقلا عن الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى د. زقزوق ص ١٠٢ ط (٢) ١٤٠٩ - ١٩٨٩ م

خطأ الاستدلال

١- اعتبار وقوع أحداث القصص فى البيئة العربية دليلا على استقاء الرسول ﷺ القرآن الكريم من البيئة !!!

٢- اعتبار وجود أصل مشترك بين القرآن الكريم والكتاب المقدس فى مادة القصص دليلا - أيضا - على ذلك !!

٣- محاولة تكلف عناصر الاستدلال على التأثر المزعوم من الحروف المقطعة التى افتتحت بها أوائل العديد من سور القرآن الكريم باعتبارها شائعة عند اليهود حيث نقلها عنهم - فى زعمهم - الرسول ﷺ فى المدينة !!!

وفيما يلى نناقش هذه الأخطاء راجين من الله تعالى التوفيق والسداد

أولا : إن وقوع أحداث القصص فى البيئة العربية لا يعتبر بحال دليلا على استقاء الرسول ﷺ القرآن الكريم من البيئة العربية ، كما لا ينهض دليلا على تأييد مزاعم المستشرقين فى هذا الصدد ، وذلك لما يلى

١- لم يذكر هذا المستشرق المصادر العربية التى استقى منها الرسول ﷺ هذا القصص ، ولم يشر إليها لا من قريب ولا من بعيد ، فانحصر الدليل بهذا فى دائرة الاحتمال القائم على الحدس المحض. ومن ثم فإن الارتقاء به إلى درجة القطع واليقين درب من العبث فى ميدان البحث العلمى ، وخلط فى المقدمات ، وخبط فى النتائج .

٢- وعلى فرض أنه أو مأ إلى تلك المصادر فإن ذلك لا ينهض دليلا على التأثر ، ذلك أن طبيعة المادة القصيصة المتعلقة بعاد وثمود - موضوع الاستشهاد - وسياقها ينفى أى مزاعم للتأثر

وسوف نسوق طرفا من قصة عاد وآخر من قصة ثمود فى القرآن الكريم لنستخلص من سياقها إلهية المصدر القرآنى ، وننفى عنها مزاعم هؤلاء المستشرقين .

قال تعالى : (**وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك فى سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين . قال يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين ...**) إلى أن قال تعالى : (**فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين**) (١) .

١- أن القصة معطوفة على ما قبلها وهى قصة نوح عليه السلام والتى ابتدئت بقول الله تعالى (**لقد أرسلنا نوحا إلى قومه**) (٢) .

وبناء على هذا يكون معنى قوله تعالى فى قصة عاد (**وإلى عاد أخاهم هودا**) وأرسلنا إلى عاد أخاهم هودا . فدل ذلك على أن المرسِل هو المتكلم ، وهو الله تعالى وليس محمدا كما يزعم المستشرقون !! ولا يتصور الإرسال بمعناه الخاص إلا من الله تعالى . فالذى أرسل نوحا عليه السلام هو الذى أرسل هودا إلى قوم عاد ، وهو الذى أرسل صالحا إلى قوم ثمود ، وأرسل لوطا إلى قومه ... ، وهو نفسه الذى أرسل محمدا ﷺ إلى العالمين .

---

(١) الأعراف : ٦٥ - ٧٢ وراجع تفسير هذه الآيات فى روح المعانى للإمام الألوسى م ٤ جـ٨ ص ١٥٤ وما بعدها مرجع سابق .

(٢) الأعراف : ٥٩

٢- ومن دلالات السياق القاطعة على أن القرآن وخاصة - فيما يتعلق بموضوع الاستشهاد الاستشراقى - من عند الله تعالى وليس لمحمد - ﷺ - فيه حرف قول الله تعالى :

(فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين)

فلو أن القرآن من عند محمد ﷺ فأين محمد من قوم هود عليه السلام حتى ينجيهم من العذاب ؟!

هل عاصرهم ؟ !

هل نشأ فيهم ؟ !

وإذا كان هود ولا غيره من الأنبياء لا يملكون النجاة لأنفسهم من أمر الله تعالى ، وقد وردت النجاة بالفعل فهل يعقل أن تنسب إلى ذواتهم وقدراتهم علما بأنه لا ذات لأحد أمام ذات الله تعالى ، ولا قدرة له أمام قدرته تعالى ، ولا إرادة له ، ولا تدبير أمام إرادة الله تعالى ومشيئته وتدبيره .

فأنى يستقيم إضافة القصة إلى محمد ﷺ فى ضوء الفعل (**فأنجيناه والذين معه**) والفعل (**فقطعنا**) فى قوله (**فقطعنا دابرالقوم الذين كذبوا بآياتنا**) .

وكما قيل فى الفعل (**فأنجيناه ...**) يقال فى الفعل (**فقطعنا**) فهل أوقع محمد عليه السلام العذاب بقوم هود حتى ننسب قصتهم إليه هو لا إلى الله تعالى ؟ !!

وهل لمحمد آيات يرسل بها ؟! وهل يملك محمد وهو من هو التعذيب على هذا النحو ؟! على أن الضمير فى قوله تعالى : (كذبوا بآياتنا) يعود إلى

الله تعالى مصدر الإرسال .

فالله تعالى لا غيره هو المرسِل ، وهو الذى يمتلك التنعيم والتعذيب على هذا النحو القاطع

وما يقال فى قصة قوم هود يقال فى قصة ثمود فى ضوء آيات القرآن الكريم .

١- (وإلى ثمود أخاهم صالحا ....) (١).

٢- (فلما جاء أمرنا نَجَّيْنا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ إن ربك هو القوى العزيز ...) (٢)

وهل يقدر غير الله تعالى أن يعاقب بالصحية ؟! ... والذى تحدث عن أنه عاقب هوالذى تحدث أنه أرسل، فأنى يستقيم نسبة هذا إلى محمد ﷺ وأنه " استقى مادة هذا القصص من البيئة ؟!

وهل يستقيم هذا مع قول الله تعالى معقبا على هذا القصص وغيره مماذكره من قصص السابقين فى سورة هود : **(ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد . وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتُهم التى يدعون من دون الله من شئ لما جآء أمر ربِّك ومازادوهم غير تتبيب . وكذلك أخْذُ ربِّك إذا أَخَذَ القرى وهى ظالمة إن أخْذه أليم شديد) (٣)**

ولا حظ التعبيرات : **(نَقصُّه عليك ..)** ،**(وما ظلمناهم ..)** ، **(لما جآء أمر ربك)**، **(وكذلك أَخْذ ربِّك)** ، **(إن أخذه أليم**

(١، ٢) هود :٦١ ، ٦٦ .

(٣) هود : ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ .

شديد) .

وسوف تجد أن صيغ الخطاب وصفات الفعل إنما هى من ذات عليا .. ذات آمرة مريدة قاهرة لها من طلاقة القدرة ماليس لمخلوق ، وأنها هى المرسِلة ، وهى المخاطِبة ، وهى الآمرة ، وهى الناهية ، وهى ذات الله تعالى .

فهل يبقى بعد هذا لهؤلاء المستشرقين قولا صحيحا يعول عليه فيما يتعلق بالقصص العربى وخاصة قصص عاد وثمود ؟! .

ثانيا : بطلان التأثير المزعوم والمبنى على وجود أصل مشترك فعلا للقرآن الكريم وقصص الكتاب المقدس .

ووجه هذا البطلان أنه لو كان هناك تأثر فعلا للقرآن الكريم بالكتاب المقدس لما ناقش القرآن الكريم اعتقادات أهل الكتاب ، وبين بطلانها وفسادها ، ولما كشف عن انحرافهم الأخلاقى ، وموقفهم من الأنبياء ، وعبادتهم للعجل من دون الله تعالى واتخاذهم عيسى عليه السلام والأحبار والرهبان أربابا من دون الله تعالى ... إلى غير ذلك من القضايا العقدية والتشريعية التى ناقشها القرآن الكريم وبين انحرفات أهل الكتاب فيها .

فلو كان التأثر المزعوم صحيحا تُرى هل كان يبقى لهذا الموقف من أهل الكتاب فى القرآن الكريم أثر!!

وإذا كان ثمة تأثر فعلى فلما لم يقرر القرآن الكريم ألوهية عيسى وسائر اعتقادات النصارى الفاسدة فيه ، ولمالم يقرر اعتقادات اليهود ومزاعمهم ، ويجعلها جزءا من عقيدته التى يدعو إليها ؟!!

ولَمَّا لم يكن لشئ من ذلك أثر فى القرآن الكريم ، وكان نقيض هذه

القضايا هو الاعتقاد الصحيح فيه دل على أنه لم يكن ثمة أى وجه من أوجه التأثر بينه وبين الكتاب المقدس

فضلا عن أن القرآن الكريم هو المهيمن على غيره من الكتب وهو الذى يصحح انحرافات الآخرين .

قال الله تعالى مخاطبا رسوله محمدا - ﷺ - **(وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ....)** (١) .

ثالثا : بطلان الاستدلال بالحروف المقطعة على التأثر المزعوم بالكتاب المقدس .

ومما يدل على بطلان استدلال المستشرقين بالحروف المقطعة والتي ابتدئت بها العديد من سور القرآن والتى بلغت (٢٩) تسعا وعشرين سورة بتأثر القرآن الكريم باليهود بناءا على الفهم الخاطئ والنابع عن عدم التدقيق فى هذه الحروف وفى الأماكن التى نزلت فيها حيث القطع بدون دليل أنها نزلت فى المدينة (أن سبعا وعشرين سورة من هذه السور التسع والعشرين مكية ، وأن اثنتين فقط من هذه السور مدنية وهما سورتا البقرة وآل عمران) (٢) .

فمن أين يأتى التأثر إذن وقد علم أن سبعة وعشرين من السور التى بدئت بالحروف المقطعة نزلت " بمكة " واثنتين فقط نزلتا بالمدينة .

---

(١) المائدة : جزء من الآية ٤٨ .

(٢) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى د. زقزوق ص ١٠٢ ، ١٠٣ مرجع سابق . وراجع الإتقان فى علوم القرآن للإمام السيوطى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم م٢ حـ ٣ص ٣١٦م حـ ١ ص ٢٨ دار التراث بدون تاريخ ، على أن سورة الرعد وهى مبتدأة بالحروف المقطعة مختلف فيها هل هى مكية أم مدنية ، فإن كانت مكية فالعدد منضبط وإن كانت مدنية يكون السور المبتدأة بالحروف المقطعة ، والتى نزلت فى المدينة ثلاث سور . راجع المصدر السابق ص٢٩ بتصرف شديد .

على أن مـا نزل بالمدينة من سـور بدئت بهذه الحروف يـعتبر امـتدادا لما نزل بمكة ، وتأصيلا لمصدرية القرآن الكريم ، ولا تعد على الإطلاق تأثرا . ولو أن سورة واحدة فقط من القرآن بدئت بالحروف المقطعة نزلت فى مكة لا تنفى كذلك شبهة التأثر المزعوم باعتبارها نزلت بعيدا عن البيئة اليهودية – فى المدينة – التى هى مظنة التـأثيـر فى مـزاعم المسـتشـرقين ، ويبـقى هذا العدد القليل شـاهد على عدم التـأثر وإن جـاءت كل سـور القرآن الكريم على هذا النحو .

ولكن العكس هو القـائم . فانتفى بذلك التـأثر المبنى على وجـود الحروف المقطعة فى بدايات سور عديدة فى القرآن الكريم فيما نزل منه بالمدينة .

ومن ثم يتـضح خطأ المسـتشـرقين فى إنشـاء الدليل فيـما يـختص بهذه الركيزة المنهجية فى الفكر الاستشراقى وهى : تجاهل الحقائق عند إنشـاء الدليل .

وبدا واضـحا أن الاعتماد على هذه الركيـزة أفسد نطاق الاستدلال.الأمر الذى حتم إفساد النتائج .

الفصل الثامن

إنشاء الدليل لتأييد أحكام مسبقة

الفصل الثامن

إنشاء الدليل لتأييد أحكام مسبقة

إن البحث العلمى النزيه يقتضى فى موطن الاستدلال وإصدار الأحكام أن تنتزع الأحكام من أدلتها .

وهذا يقتضى أن الدليل مقدم على الحكم ، وأن هذه القاعدة المنهجية تمثل ضرورة من ضروريات الاستدلال فى إنشاء الأحكام ، لأنها هى التى تضمن للباحث الحيدة والموضوعية والنزاهة فى البحث العلمى .

ولا مرية أن أى اختلال فى القاعدة المنهجية العلمية الصحيحة ، أو إغفالها وتجاهلها فى ميدان البحث العلمى ، أو عكسها حتما سيؤدى إلى خطأ فادح فى الاستدلال مما يؤدى إلى اضطراب فى البحث ، وخطأ فى النتائج .

فالدليل هو سيد الموقف فى البحث ، وهو المعول عليه ، وهو الذى يوجه الأحكام ولا يتوجه بها .. فالحكم يجب ألا يخرج عن دائرة الاستدلال ، وألا يتقدم فى الرتبة على الدليل ... فإذا تقدم على الدليل افتقد الدليل خصائصه ، ومرق الحكم من قيده ، فصار فى الحقيقة حكما بلا دليل .

والإصرار على تقديم الحكم على الدليل لا يعدو كونه تطويعا لهذا الدليل وليا لعنقه لخدمة أحكام مسبقة ، وهذه الأحكام حتما ستكون أحكاما موجهة مدفوعة بالهوى والتعصب !!

من ثم فلا يكون للدليل أثر فى إنشاء الحكم ، وإنما يؤتى به فى هذه الحالة كستار يُخفَى وراءه الغرض والهوى ، ومحاولة إضفاء الصبغة العلمية على الرؤى الشخصية ، ووجهات النظر ، وهى قطعا ليست أحكاما علمية ، ولا تخرج عن ذلك الإطار الشخصى أو النظرى الذى لم يقم الدليل على

صحته .

وإذا ما نظرنا إلى الدراسات الاستشراقية فيما يتعلق بالإسلام سنجدها اعتمدت فى كثير من الأحيان على عكس هذه القاعدة المنهجية أو كسرها،إن صح التعبير،فجاءت الأحكام فيها تحتل الرتبة الأولى على الدليل ، وبالتالى جاء الدليل تابعا لا متبوعا ، ومحكوما لا حاكما .. وأصبح الحكم مفروضا عليه ، وليس له إلا أن يستكين للحكم ويخضع ، مع أنه هو منشأه ومبناه فالحكم يتمخض عنه ، وينبنى عليه ، وينتزع منه ، وليس العكس

ومن ارتأى أن الدليل منبثق عن الحكم وأن الحكم هو مبنى الدليل فهو عابث لا علم له بمناهج البحث العلمى ، ولا فقه له بعملية الاستدلال ، ولا تصور صحيح له بطبيعة الحكم .

وثمة أمثلة كثيرة يترع بها الفكر الاستشراقى فيما يتعلق بقضايا الإسلام توضح هذا الخطأ الفادح الذى وقع فيه المستشرقون فى منهج الاستدلال .

وأرى أن أسوق مثالا منها لتوضيح هذا الخطأ ، وبيانه حتى لا أكون مدعيا أو متحاملا

مثال :

يزعم جولد تسيهر أن (الحديث الشريف فى مجموعة من صنع القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، وليس من قول الرسول ﷺ ولا فعله ولا تقريره ، وأن أحكام الشريعة لم تكن معروفة لجمهور المسلمين فى الصدر الأول من الإسلام ، وأن الجهل بها ، وبتاريخ الرسول - ﷺ - كان لاصقا بكبار الأئمة ، وقد حشد لذلك بعض الروايات الساقطة المتهافتة ، منها ما نقله عن كتاب "الحيوان للدميرى من أن أبا حنيفة لم يكن يعرف معركة بدر قبل أحد أم

كانت أحد قبلها) (١) ٠

وإذا تأملنا هذا النص ألفينا ما يلى :

١- أن المستشرق جولد تسيهر أصدر حكما يتعلق بالسنة الشريفة ، وقضية التدوين يقتضى أن السنة لم تكن معروفة بين المسلمين إلا فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة بمعنى أنها ليست من أقوال الرسول ﷺ ولا فعله ولا تقريره ، وإنما هى من أقوال علماء المسلمين !!

٢- أن أحكام الشريعة لم تكن معروفة لجمهور المسلمين فى الصدر الأول من الإسلام ، وأن كبار الأئمة كان يجهل بها وبتاريخ الرسول ﷺ !!

وهذه نتائج وأحكام تتعلق بقضية بعينها ، ولكن أين هى من الدليل ؟

إنها جاءت لتحتل الرتبة الأولى على الدليل ، وجاء الدليل متأخرا بعدها - بقطع النظر عما إذا كان مقنعا أم لا - بمثابة مؤيد لحكم مسبق ، لا على أنه موضوع ينتزع منه عناصر الحكم وحيثياته !!

وقد جاء الدليل منتزعا من فترة زمنية لاحقة بعصر النبوة ، ولم ينتزع من العصر ذاته ، والذى زعم أن الناس لم يكونوا فيه على دراية بالسنة ولا بالشريعة !!

والنظر العقلى يقتضى أن من الموضوعية، أن ينتزع الدليل من العصر الذى يطلق عليه الحكم ، لا من عصر لاحق هذا إذا افترضنا صحة الدليل ، ولكنه ليس كذلك .

وأرى أن أشير هنا إلى عكس القضية وأثبت بطلان ما زعمه جولد تسيهر ، وأبين أن السبب فى ذلك هو أنه قدم الحكم على الدليل فخالف بذلك قاعدة أساسية من قواعد منهج البحث العلمى فى الاستدلال .

---

(١) نقلا عن الاستشراق والمستشرقون أ. السباعى ص ٤٥ وما بعدها بتصرف يسير ٠

أولا : السنة فى الصدر الأول .

لقد تبوأت السنة الشريفة فى صدرها الأول مكانة كبيرة فى نفوس صحابة رسول الله ﷺ وبلغت من الاهتمام بها مبلغا عظيما ، فقد كان الرسول - ﷺ - هو المرجع الوحيد لهم من أمور دينهم يتلقون عنه كتاب الله تعالى ويوضح لهم أحكامه ، ويبين لهم وجوهه ومعانيه ، وكانت أقواله وأفعاله وحركاته سنة اقتدى بها المسلمون حتى فى الإشارة ، (فقد كانوا حريصين كل الحرص على حضور مجلسه - ﷺ - فى تأدب جم ، وإنصات تام ، وكانوا يسألونه ﷺ فى الأمور المشكلة للمعرفة والفهم ، وكانوا يعايشونه - ﷺ - معايشة تامة ، وقد حرصوا على سماع ما يفوتهم من أقرانهم إذا شغلهم العمل والسعى فى طلب الرزق ، وكانوا يتعمقون فى حفظ أبواب الحديث ، ويجتهدون فى معناها ، ويعرضون اجتهاداتهم عليه - ﷺ - ليبين لهم حكم الله تعالى فيها .

هذا فضلا عن كتابتهم للحديث الشريف وتوثيقهم له ، فقد كان بعض الصحابة رضوان الله عليهم يكتبون الحديث حفظا له ، وحماية له من الضياع والنسيان) (١) .

وثمة أدلة كثيرة على هذا منها ما يلى :

١- يقول عبد الله بن عمرو بن العاص : (كنت أكتب كل شئ أسمعه من رسول الله - ﷺ - أريد حفظه فنهتنى قريش ، وقالوا : اتكتب كل شئ تسمعه ، ورسول الله - ﷺ - بشر يتكلم فى الغضب

---

(١) الصحابة وجهودهم فى خدمة الحديث النبوى د. سيد نوح ص ٤٩ - ٦٤ دار الوفاء المنصوره ط (١) ١٤١٤هـ - ١٩٩٢م .

والرضا ؟ فأمسكت عن الكتابة ، فذكرت ذلك لرسول الله - ﷺ - فأومأ بأصبعة إلى فيه فقال : " اكتب فوالذى نفسى بيده ما يخرج منى إلا حق")(١).

وروى عن أبى جحيفة قال : قلت لعلي : هل عندكم كتاب ؟ قال : لا إلا كتاب الله أو فهم أعطيه رجل مسلم ، أو ما فى هذه الصحيفة ، قال : قلت وما فى هذه الصحيفة ؟ قال : العقل ، وفكاك الأسير ، ولا يقتل مسلم بكافر) (٢) إلى غير ذلك من الأدلة التى تبين اهتمام صحابة رسول الله - ﷺ بكتابة الحديث الشريف .

وإذا كان ثمة نهى عن كتابة السنه فى بداية الدعوة إلى الله تعالى فذلك يرجع لسببين هما :

١- خوف اختلاط القرآن بالسنن لا سيما وقد كان الاثنان يُكتبان فى صحيفة واحدة .

٢- خشية اشتغال الناس - عن القرآن بالسنن ، والقرآن لما يتيسر حفظه بعد لكثير من الصحابة ... وحين زال هذان السببان زال النهى

---

(١) رواه أبو داود فى السنن : كتاب العلم باب : فى كتاب العلم حـ٢ ص ٢٨٦ الحلبى ط (١) ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م ، والإمام الدرامى فى سننه : المقدمة باب : من رخص فى كتابة العلم حـ ١ ص ١٢١ دار إحياء السنة النبوية بيروت بدون تاريخ . والحاكم فى المستدرك حـ١ ص ١٠٥ ، ١٠٦ وقال : (هذا حديث حسن صحيح الإسناد ، أصل فى نسخ (الكتابة) الحديث عن رسول الله ﷺ دار الكتاب العربى بيروت . بدون تاريخ .

(٢) رواه الإمام البخارى بسنده عن أبى جحفة فى الصحيح كتاب العلم : باب كتابة العلم حـ١ ص ٣٨ وكتاب فضائل المدينة باب حرم المدينة حـ٣ ص ٢٦ طبعة الشعب ١٣٧٨هـ ومسلم فى صحيحه كتاب الحج باب فضل المدينة حـ٢ ص ٩٩٤ ، ٩٩٩ رقم (٤٦٧ ، ٤٦٨) ط طبعة الحلبى بدون تاريخ .

وجاء الإذن بالإباحة ، ووقع الفعل) (١) .

ولم ينقطع اهتمام الصحابة رضوان الله عليهم بالسنة بوفاة الرسول - ﷺ - بل ازدادت واتسعت دائرته حتى دونت السنة الشريفة ووثقت ووضعت لها علومها الخاصة التى وضعت قواعد الإثبات والتوثيق ، كما وضعت قواعد الجرح والتعديل بالنسبة لرجال الحديث (٢) .

والأدلة فى هذا الصدد تستعصى على الحصر ، وحسبنا منها ما سقناه هنا على أننا لسنا فى مقام تفنيد شبهات تثار حول السنة الشريفة ، وإنما بصدد بيان أخطاء المستشرقين فى إنشاء الدليل فيما يتعلق بالدراسات الإسلامية . ومن أراد المزيد من مناقشة الشبهات التى أثارها المستشرقون فى هذا الصدد فليرجع إلى المراجع المشار إليها فى الهامش فسيجد فيها طلبته وزيادة .

ثانيا : الشريعة فى الصدر الأول :

والحديث عن الشريعة فى الصدر الأول مرتبط كذلك بالحديث عن الحديث الشريف واهتمام الصحابة بحفظه ودرسة وتعلمه وتوثيقه ، فهى مبينة للقرآن الكريم ، وموضحة له ، ومستقلة بإنشاء أحكام لم ترد فيه .

فبثبوت هذا للحديث الشريف يثبت للشريعة لأنها منبثقة عنه،ومبنية عليه إلى جانب القرآن الكريم .

(١، ٢) الصحابة وجهودهم فى خدمة الحديث النبوى د. السيد محمد نوح ص ٧٣، ٧٤ مرجع سابق .
وراجع السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى د. مصطفى السباعى ص ٥٨ وما بعدها . المكتب الإسلامى ط (٤) ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، ودفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين د. محمد أبو شهبة ص ٣١ - ٣٨ مجمع البحوث الاسلامية ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م والسنة قبل التدوين د. محمد عجاج الخطيب ص ٥٧ وما بعدها دار الفكر ط (٥) ١٤٠١هـ - ١٩٨١م والحديث والمحدثون أ. محمد أبو زهو ص ٤٦ - ٧٤ دار الفكر العربى بدون تاريخ .

ثالثا : خطأ زعم عدم معرفة الصحابة بالشريعة والسنة فى الصدرالأول .

أما استدلال المستشرق جولد تسيهر على زعمه بأن الصحابة - رضوان الله عليهم - فى الصدر الأول لم يكونوا يعرفون السنة ولا الشريعة ، وبأن كبار الأئمة يكونوا على دراية بها وبتاريخ الرسول ، وأن الإمام أبا حنيفة - رضي الله عنه - لم يكن يعرف غزوة بدر أم أحد أيهما اسبق . فهو استدلال باطل لا يخلو من الخطأ والاضطراب .

إذ ليس من المعقول أن يجهل الإمام أبو حنيفة هذا الترتيب الزمنى للغزوتين ، وخاصة أنها من أبجديات فقه الجهاد فى الشريعة الإسلامية ، ولا يتصور هذا من المبتدئين فى الدراسة فضلا عن كبار الأئمة .

ولئن فرضنا جدلا أن الإمام أبا حنيفة قدم غزوة أحد على غزوة بدر الكبرى فإن ذلك من سبق اللسان ، ولا يحمل على الجهل بوقائع السيرة النبوية وأحداثها ، أو لاستنباط معين اقتضى التقديم والتأخير .

فضلا عن أن هذا الدليل – أصلا – لا يسعف جولد تسيهر فى إثبات زعمه إذ أن كون الإمام أبى حنيفة جهل ذلك على سبيل الفرض – فلا يؤخذ حجة على عدم معرفة صدر كامل ، وأجيال متعاقبة من الصحابة والتابعين وتابعيهم بمعرفة السنة الشريفة والشريعة الغراء ، إلى جانب أن المصدر الذى استقى منه هذا النص ، وهو كتاب الحيوان للدميرى ليس محل ثقة علماء المسلمين ، لأنه لا يحقق فيه الروايات ، ولا يتثبت من صحة الأحداث، وقد حكم عليها بعض النقاد بأنها مكذوبة (1)

---

(1) د. عبد الجليل شلبى فى كتابه الاستشرق والمستشرقون ص ٢٧ وما بعدها مرجع سابق

مثال آخر :

على أن جولد تسيهر لم يكن الوحيد من بين المستشرقون الذى اعتمد هذا المنهج فى الاستدلال فى بحوثه التى عقدها حول قضايا الإسلام . فقد كان ثمة مستشرقون كثيرون نهجوا هذا النهج ، واقتفوا نفس الأثر الذى اقتفاه ومنهم و . مونتجمرى وات الذى راح يتحدث عن (فروض (١) الوحى القرآنى) .

وقد عنون للفرض الأول بـ (مضامين القرآن العربى) وأخذ على مدار ثلاث صفحات يقرر نتائج منتزعا مقدماتها من حكم مسبق فى هذه القضية هو أن القرآن الكريم ليس كتابا عالميا ، وإنما هو خاص بالعرب وحدهم.
وهذا يعنى – فى زعمهم – محلية الإسلام ، ونفى العالمية عنه زاعما أنها لم تكن إلا مظهرا من مظاهر تطور اللغة العربية وآدابها ، وأن العالم الإسلامى رغم هذا التطور – فى زعمه – لا يتوحد حول إسلام واحد ، وإنما تجد الإسلام مختلفا فى أقطار عنها فى أقطار أخرى ، وأن هذه الاختلافات تعبر عن نفسها فى بعض الأحيان بأنها مذاهب ، فضلا أن ثمة مناطق لم يصلها الإسلام حتى الآن ، إلى جانب مناطق النفوذ للأديان الكبرى ، وجعل كل هذا دلائل أتى بها بعد تقرير حكم مسبق فى هذه القضية ، وجاءت بمثابة مؤكدات – كما يزعم – لوجهة نظره والتى تأثر فيها بالفكر الاستشراقى بوجه عام (٢) .

والخطأ الاستدلالى هنا واضح فإنه أصدر الحكم ثم رتب الدليل عليه ،

---

(١) ولاحظ تعبيره عن مقررات الوحى الإلهى بأنها فروض وفيها انتقاص من قيمة الأصول والثوابت الإسلامية !!

(٢) راجع الإسلام والمسيحية فى العالم المعاصر و. مونتجمرى وات ص ٦٤ وما بعدها . مرجع سابق.

والمفترض العكس .

ومع هذا فإن ما ساقه من أدلة لا ينهض دليلا يؤيد زعمه هذا لما يلى :

١- إن عالمية الإسلام لم تكن مظهرا من مظاهر تطور اللغة العربية وآدابها وإنما كان نصا جليا فى القرآن الكريم المنزل على رسول الله محمد - ﷺ - قال تعالى (**وأرسلناك للناس رسولا**) (١) وقال تعالى (**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**) (٢) ....الخ

وإذا كان وات قد كون فكرته هذه من بعض نصوص القرآن الكريم التى توهم أنها تؤيد زعمه هذا فقد أخطأ فهمه لآياته ، وغاب عنه فيها سنة التدرج فى الدعوات وهذه الآيات هى :

١- قال تعالى (**وأنذر عشيرتك الأقربين**) (٣).

٢- قال تعالى (**فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين**) (٤).

٣- قال تعالى (**لتنذر أم القرى ومن حولها**) (٥).

فإن هذه الآيات إلى جانب سابقتها تؤكد سنة التدرج التى جعلها الله تعالى أصلا من أصول التبليغ فى دعوات الرسل ، ذلك لأن الدعوة يجب أن تبحث لها عن منطلق تنطلق منه ، ونواة تدور حولها ، وذلك لا يكون إلا فى المحيط القريب جدا من الرسول ، ثم بعد أن يتم لها أمرها فى هذا المحيط تنفتح على آفاق جديدة، وتبحث عن وجود فلعى فيها يحقق العالمية .

واستدلاله بوجود أديان كبرى فى البلاد التى انتشر فيها الإسلام أو التى

---

(١) النساء : الآية ٧٩ .

(٢) الأنبياء : الآية ١٠٧ .

(٣) الشعراء : ٢١٤ .

(٤) الحجر : الاية ٩٤ .

(٥) الشورى : الاية ٧ .

لم ينتشر فيها ، ليس دليلا على عالميته ، لأن الإسلام يكفل حرية التدين ، وخاصة لأهل الكتاب ، ولأنه لم يقم على القهر والإلجاء ، وإنما على الإقناع والحجة ، ومبناه قائم على الاختيار ، ولا تكليف مع إجبار (١) .

أما الاستدلال على عدم عالميته بعدم وصوله إلى أماكن فى العالم فليس دليلا على عدم عالميته ، وهذا يرجع إلى أمرين:

أولهما : تقصير أجهزة الدعوة الإسلامية فى تبليغه ونشره فى تلك الأماكن التى لم يصل إليها .

ثانيهما : قيام الإعلام الغربى بدور البديل المهيمن الذى يضلل الرأى العام ، ويعمل جاهدا على الحيلولة بين الناس وبين الإسلام .

(والذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) (٢) .

وهكذا يتضح مدى خطورة الأخطاء العلمية والمنهجية الفادحة التى وقع فيها المستشرقون فى عملية الاستدلال فى الدراسات الاستشراقية فيما يتعلق بقضايا الإسلام.

وأن منشأ هذا الخطأ هو عكس ترتيب الدليل والحكم كقاعدة منهجية من قواعد الاستدلال حيث أتى بالدليل لخدمة أحكام مسبقة فتأخر فى رتبته فتجرد من سماته الاستدلالية ، وأصبح عديم القيمة ، ولاوزن له فى مجال

---

(١) على أن هذه مسألة تحتاج إلى مزيد من الإيضاح ، لكن المقام هنا لا يتسع لهذا البسط ، وحتى لا نتطرق إلى موضوعات أخرى غير موضوع البحث .

راجع فى هذا عالمية الإسلام حقيقة أولية رؤوف شلبى . هدية مجلة الأزهر الشريف ربيع أول ١٤٠٩ هـ .

(٢) الأنفال : ٣٦ .

البحث العلمى .

و هذا هو ما يعترف به بعض المستشرقين المعتدلين – فى مناقشة هذه القضية – يقول ستوك هير غرنجة : (إن سيرة محمد ﷺ الحديثة محكوم عليها بالعقم إذا سخرت لأية نظرية أو رأى سابق) (١).

والحق ما شهدت به الاعداء .

(١) المستشرقون د. عبد الجليل ص ٢٧ وما بعدها . مرجع سابق . ومناهج المستشرقين فى الدراسات العربية والاسلاميه حـ١ص١٣٢ مرجع سابق . وراجع أيضا التوراة والإنجيل والقران والعلم الحديث موريس بوكاى وكتاب محمد ـ ﷺ ـ لكارين أرمسترونج ص ١٨ مرجع سابق .

الفصل التاسع

استقاء الدليل من الواقع العملى

لا من المصدر

الفصل التاسع

استقاء الدليل من الواقع العملى لا من المصدر !!

يعتمد بعض المستشرقين فى إنشاء الدليل على استقاء الدليل فى عرض قضايا الاسلام من الواقع العملى للمسلمين لا من الإسلام ذاته ، ومن هؤلاء : المستشرق جوزيف شاخت عندما تحدث عن إمكانية استجابة الفكر الإسلامى للاتجاه العلمانى الذى يحجم الدين ، ويفصله عن الحياة العامة .

وقد خطا فى ذلك خطوات نبينها فيما يلى :

١- الانطلاق من الإسلام ، ثم الانخراط فى الواقع السلوكى للمسلمين ، وجمع عناصر الدليل منه من خلال حديثه عن الخلافة الإسلامية ٠

٢- محاولة تقديم تصور مضطرب عن " الخلافة باعتبارها تمثل السلطة الدينية والسلطة السياسية لتبرير هذا الوضع ، فقد بدأ بالحديث عنها من خلال تصور الإسلام الذى لم يكن يقبل فكرة الفصل بين السلطين ، بل يجرمها ، ويجعلها معول هدم لكيان الإسلام الدينى والسياسى . وقد استمر هذا المفهوم سائدا بين المسلمين فى صورته القوية فى عصر الخلافة الراشدة ، ثم أخذ فى الذبول فى فترات مختلفة عقب سقوط الخلافة ، وقيام النظام الملكى ثم قيام الدول وانهيارها حتى اضمحل ، وحلت محله مصطلحات أخرى كان آخرها مصطلح (السلطان) ثم عقب ذلك انهيار الخلافة بإعلان مصطفى كمال أتاتورك زوال الخلافة ، وتأسيس تركيا الحديثة على النظام العلمانى (١) ٠

---

(١) تراث الإسلام جوزيف شاخت وكليفورد بوزروث ترجمة د. محمد زهير السمهورى حـ ١ص ٢١١ - ٢٧٣ . مرجع سابق .

٣- التعبير عن قيام الدولة والخلافة بتعبيرات تترك فى نفس القارئ انطباعات خاصة تجعل تصوره للخلافة تصورا مذبذبا غير مستقر ، ويتضح هذا من خلال عرض هذا المستشرق جوزيف شاخت للخلافة حيث بين أنها انبثقت من وعاء قبلى نمى وتطور فى المجتمع العربى ، واكتسب الصبغة الدينية فى ظل الإسلام !!

وهو يريد أن يقول إن الخلافة الإسلامية فى الأصل كانت نموذجا وحدويا قبليا أراد أن يجمع العرب فى قالب واحد ليقيم لهم كيانا سياسيا له مميزاته الخاصة عن ذى قبل.

وتستطيع أن تلمس هذه المعانى المغرضة بوضوح من خلال مقولة شاخت : (كانت للأمة الاسلامية منذ البداية صفة مزدوجة ، فقد كانت من جهة مجتمعا سياسيا - أعنى مشيخة قبلية تطورت بسرعة لتصبح دولة ، ثم امبراطورية .

ومن جهة أخرى كانت جماعة دينية أسسها رسول وحكمها خليفته ، ففى أصولها كانت تتبع النموذج السياسى المقبول الوحيد وهو نموذج القبيلة العربية أو التحالف القبلى ، وقد تعرض هذا النمط منذ حياة محمد -ﷺ- لتغييرات مهمة ، من حيث المحتوى ، ومحور الاهتمام - إلى أن قال - : وقد أصبح من التجديدات الشائعة حديثا التمييز بين نظام الحكم " والنظام الدينى " فى الإسلام) (١) .

وهو وإن أومأ إلى أن هذه الرؤية لم تكن تنطبق على صدر الإسلام فإنه لم يقصد بذلك دفاعا عن نظام الخلافة ، وإنما يقصد بيان إمكانية قبول مصطلحات وتعبيرات فى الوسط الإسلامى فى العصور اللاحقة ، وخاصة

(١) تراث الإسلام جوزيف شاخت حـ١ ص ٢١٣ ، ٢١٤ مرجع سابق .

العصر الحديث لم يكن يسمح بها الصدر الأول ، بل لم تكن موجودة فيه كهذه المصطلحات التى نشأت فى بيئة غربية نصرانية مثلت نماذج من التقابلات التى تفصل بين الدينى وغيره مثل مصطلح " دينى " و " دنيوى " ، " روحى " و" زمنى ، " و " كهنوتى " و " علمانى " ، و" مقدس " و " مدنس "

ويدل على هذا قوله " لكن مهما كان مدى انطباق هذا التمييز على الامبراطوريات (١) الإسلامية اللاحقة – وحتى هذا كان موضع تساؤل – فإنه لم يكن على الإطلاق منطبقا على صدر الإسلام – إلى أن قال – : ولم يظهر مثل هذا التضاد – أى المشار إليه – إلا بعد وقت طويل جدا حين استحدثت كلمات جديدة للتعبير عن مفاهيم جديدة) (٢) .

ثم يقول – وهو يستعرض الأوضاع التاريخية التى مرت بها – ما يمكن أن نسميه تجاوزا – نظرية الخلافة – :

(ولكن إذا كان العلماء السنيون غير قادرين على تغيير حقائق السياسة ، فإنهم كانوا غير قادرين أيضا على تغيير أساس فكرهم السياسى ، فأصول الدولة وعلمها بالنسبة إليهم من المواضيع التى تقع ضمن التأمل الفلسفى لا الخيال المثالى ، ولا حتى الملاحظة العلمية – رغم أن جميع هذه النشاطات كان لها رجالها فى العالم الإسلامى . فهذه الأمور بالنسبة للعلماء جزء من الشريعة ، أى من شرع الله الإسلامى المقدس الذى لا يمكن للإنسان على الأرض أن يلغيه أو يعدله .

---

(١) كثير ما يطلق المستشرقون مصطلح " الإمبراطورية " على الدولة الإسلامية ، وهذا المصطلح له معناه المحدد والواضح فى العقلية الغربية فالامبراطورية فى التصور الغربى قامت فى الأساس على التوسع السياسى وبسط النفوذ ، ولو كان ذلك عن طريق التسلط والاستبداد والقهر .
وهذا المعنى ما أراد المستشرقون لصقة بالإسلام ، وصبغ سياساته به مع أنه مجاف لروح الإسلام مناقض لمبادئه وتعاليمه ، فالإسلام دين ودولة أو دولة صاحبة رسالة دينية لا دولة ذو تطلعات سياسية مجردة .

(٢) المرجع السابق ص ٢١٥.

على أن (هذا الشرع) يمكن تفسيره ، وبهذه الطريقة استطاع الفقهاء أن يحققوا نوعا من التوفيق بين الأمور النظرية والعملية ، ففى الدولة الإسلامية التقليدية ظل رجال الدين يلتقون مع الأحكام فى أرض مشتركة للحوار فبينما كانوا من جهة يستخدمون ما كان يمكن أن يكون لهم من نفوذ لتقريب أعمال الحكام من المثل العليا للإسلام فإنهم من جهة أخرى كانوا يحاولون ، من خلال المهارة فى التفسير أن يدخلوا الممارسات القائمة بعد تحويرها بالشكل المناسب ضمن شروحهم لشرع الله) (١) .

وأنت ترى - معى - أنه بدأ الحديث فى هذا النص عن الخلافة لدى علماء أهل السنة ، وأنها فى نظرهم أمر لا يقبل الجدل ، وليس مثارا للاحتمال ، لكنه راح من جهة أخرى ليبين أن هذا المعنى للخلافة ممكن (تفسيره) على النحو التالى :

١- تحويره وتطويعه للواقع ، وهذا يعنى إخضاع تحديد معنى الخلافة للواقع وهو أمر غير مقبول إطلاقا فى الوسط الإسلامى .

٢- أو يعنى به - إن صح التعبير - أسلمة الواقع ، أى الارتقاء بالواقع من كونه مذهبا أو عادة بما ضُمِّن من ممارسات فعلية قائمة ، وتحويره لإدراجه ضمن قضايا الشريعة ، وإدخاله فيها ، مع أنه لم يشترط لذلك ، ولم يقيده بقيد .

وفى ضوء هذه المنهجية يمكن - حسب زعم شباخت - إدخال المتناقضات مع الشرع ضمن الشرع بعد تحويرها إلى معنى يعتبر وجها لمناسبة الشرع ، ولو كان هذا عن طريق التكلف أو الإغراب أو الاعتساف ، واعتبار هذا الأمر المجافى لروح الإسلام والمناقض لمبادئه وأصوله " مهارة فائقة فى التفسير !!

---

(١) نفس المرجع .

وبناء على هذا راح شاخت - لينتزع من الواقع غير المألوف ما يجعله واقعا مألوفا ، فضلا عن جعله شرعا يتبع ويدان به . ليدلك به على أن بإمكان أي جماعة متمردة – فى الإسلام – الاستيلاء على السلطة كحكام ومحاربين ، وأن هذه السلطة تكون تصطبغ بالصبغة الشرعية !!!

ومعنى هذا أنه قد يعتلى عرش الخلافة الإسلامية جماعة من اللصوص المتمردين بوصفهم حكاما شرعيين يدين لهم الناس،وتصبح طاعتهم واجبة !!!وهذا مخالف لقواعد اختيار الخليفة فى الإسلام .

وناهيك عما يترتب على هذا من فساد فى الرأى والتصور ، فضلا عن أنه مناقض للإسلام فيما يتعلق بالمباحث الشرعية الخاصة بالخروج على الجماعة والمروق من طاعة الإمام والذى يوجب التشريع الإسلامى قتالهم بذلك (١) .

---

(١) قال تعالى (**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين**) الحجرات:٩

وقول رسول الله ﷺ (ستكون هنات وهنات – ورفع صوته – ألا ومن خرج على أمتى وهم جميع فاضربوا عنقه بالسيف كائنا من كان) مسلم كتاب الإمارة باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع عن عرفجة حـ ١ صـ ٥١٨

فكل من ثبت إمامته وجبت طاعته وحرم الخروج عليه وقتاله لقول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) . النساء : ٥٩... وروى عن النبى ﷺ أنه قال " من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات ميتة جاهلية " رواه الإمام النسائى فى سننه شرح الحافظ جلال الدين السيوطى وحاشية الإمام السندى كتاب :تحريم الدم ، باب التغليظ فيمن قاتل تحت راية عمية حـ ٧ ص ١٢٣ . دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ .

هذا وقد أجمع الصحابة على قتال البغاة فإن أبا بكر رضي الله عنه قاتل ما نعى الزكاة وعلى كرم الله وجهه قاتل أهل الجمل وصفين وأهل النهروان) .

راجع المغنى لابن قدامة حـ١٠ ص ٤ وما بعدها دار الغد العربى بدون تاريخ .

ولكن شاخت تجاهل كل هذا وحاول تطويع نظام الخلافة للواقع واستنطاق الواقع الفقهى بما زعمه تأييدا لفكرة اختفاء هذا النظام وتواريه من الواقع السياسى الإسلامى إذ يقول :

(وقدم الفقهاء الشرعيون الواحد بعد الآخر ، تنازلات أخرى إزاء الواقع المتدهور إلى أن وصل الأمر إلى التخلى ضمنيا عن كل النظام المتعلق بالنظرية الدستورية الفقهية) (١) .

ويقصد شاخت بالنظرية الدستورية الفقهية : " الخلافة "

وهو يفصل هنا بين ما يسميه بالاتجاه النظرى والعملى فى الإسلام ، ويستدل من الواقع العملى (التطبيقى) على الاتجاه النظرى أي (النصى) أو الشرعى – مع التحفظ على التعبير على نصوص الإسلام بالاتجاه النظرى – لأن فيه إيهام بعزلها عن الواقع الحياتى .

ويستدل بمقولة كاتب فارسى – على حد تعبيره من كتاب القرن الحادى عشر بما يبرر إمكانية قبول الواقع الإسلامى بإمكان قيام سلطة سياسة منعزلة تماما عن السلطة الدينية ، وإن كان لكل منهما مقومات قيامه ومؤهلات بقائه قويا مهابا !! وهو ما يعرف بالعلمانية ، فيقول : (اعلم أن الله سبحانه قد أعطى سلطة للأنبياء وأخرى للملوك ، وأنه فرض على أهل الأرض أن يمتثلوا للسلطتين ، وأن يعترفوا بالطريق القويم الذى وضعه الله) (٢) .

ويعلق على هذا بقوله : (فالله يختار الرسول ويبعثه لينشر شرع الله ويقيمه والحكومة التى يقيمها هى حكومة إلهية ، أما الحكومة البشرية فيجب

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢١ .

(٢) نفس المرجع .

أن يحكمها ملك يحصل على سلطته ويحافظ عليها بالوسائل السياسية والعسكرية وامتلاكه لهذه السلطة يمنحه الحق فى إصدار الأوامر ومعاقبة المسيئين ، بصورة مستقلة عن شرع الله ، وإن تكن غير متعارضة معه) (١).

وإذا تأملنا هذا التعليق وهذا السياق نجد أن شاخت يفرق بين حكومتين حكومة نبوية يقيمها الأنبياء هذه الحكومة لا تقبل مبدأ الفصل بين السلطتين الدينية " ، و " السياسية "

على أنها تنتهى بوفاة الأنبياء ، ولا يكون لها امتداد لخلفائهم ، وبين حكومة بشرية تفصل بين السلطتين وتقيم الدولة على أساس من هذه الثنائية أو الازدواجيه فى البناء والهيكلة ، وأنه يكتفى بالحفاظ على كيان الدولة بالوسائل السياسية والعسكرية ، ولا يعطى للشرع مساحة فى الحفاظ على هذا الكيان ، وأن هذا النظام يخول له سن القوانين الرادعة للخارجين على نظام حكمه وملكه بصورة مستقلة عن الشرع حتى لو كانت متفقة معه ، فلا يبرز هذا الاتفاق

ولا يمكن أن يعد هذا انبثاقا فكريا من مشكاة الشرع للحفاظ على كيان حكمه أو ملكه !!

وقد استقى هذا من واقع فكرى حول نظام الخلافة لا من مصدر نصى شرعى ، فهو يحتكم إلى الفكر والواقع ولا يحتكم إلى الشرع وأصول الحكم فى الإسلام . ولعل الكاتب الفارسى (٢) – الذى استشهد هنا بنصه على تأييد وجهة نظره فى تبرير قبول الإسلام لمذهب العلمانية – يقصد بقوله : (اعلم أن الله

---

(١) المرجع السابق .

(٢) الإسلام لا يفرق بين المسلمين على أساس عرقى ولكن المستشرقين يصرون على هذا التقسيم في الحديث عن المسلمين للترويج للنزعة العرقية التي تمزق كلمة المسلمين وتفت في كيانهم !!

سبحانه قد أعطى سلطه للأنبياء وأخرى للملوك ، وأنه فرض على أهل الأرض الامتثال للسلطتين ...) أنه لابد من استمرار السلطة حتى لا يختل النظام العام ، وأن السلطة لا تنقطع بموت النبى وانقطاع النبوة ، وإنما يجب أن يقوم مقام النبى ويخلفه من يحافظ على كيان الدولة ويحفظ الأمن العام .

ولا يستوجب هذا أن يكون نظاما مفرغا من التشريع الإسلامى ، وإنما يجب كما هو واضح من النص الذى نحن بصدد الحديث عنه - الالتزام بحكم الله تعالى فى أى من السلطتين .

وعلى فرض أن هذا التوجيه ليس صحيحا ، وأن ما استنبطه منه - شاخت - هو الصحيح فلا يعنى هذا أن وجهة نظره صحيحة ، لأن الإسلام يقاس بذاته ولا يقاس بأقوال علمائه ، وأنه يجب على الأمة الامتثال للعلماء ما اتفقت اجتهاداتهم وروح الشرع ، كما يجب عليها عدم طاعتهم فيما خالف نصا شرعيا أو إجماعا .

رؤية نقدية

كثيرا ما يخطئ المستشرقون فى إنشاء الدليل فى الدراسات الإسلامية عندما يعتمدون على انتزاعه من الواقع العملى ، أو الفكرى للمسلمين ، ولا ينتزعون عناصره من المصدر النصى للإسلام متمثلا فى القرآن الكريم والسنة الشريفة ، ولا مما يدور فى فلكهما من مصادر التشريع الأخرى ، كالإجماع والاجتهاد والقياس والعرف ... وثمة اتجاهان يجب مراعاتهما فى هذا الصدد هما :

الاتجاه الأول : اتجاه يتميز بسمته النصية والتشريعية ولا ينطبق عليه ما تميز به الاتجاه الثانى .

الاتجاه الثانى : اتجاه حركى أو سلوكى (التطبيقى)

على أن الاتجـاه الحـركى أو السلوكى أو التطبـيـقى – من المفترض أن يكون منضبطا بضوابط الإسلام ومقيدا بقيوده ، لأن الاسـلام يهدف إلى اسـتقامة الواقع الحركى أو السلوكى وتقويمه .

وعندما يحدث هناك خلل فى هذه العلامة الانضباطية فإن هذا يعنى أن ثمة إنحرافا عن المنهج ، أو تفريطا فى قضاياه ، أو تحللا جزئيا أو كليا من قيوده

والمنهج العلمى يقتضى الاستدلال بالمصدر كقيمة دينية وتنظيمية ومنهجية ، أما أن يتجاهل الباحث هذه القيمة المصدرية ، ويستنطق الواقع بالدليل على قضية مصدرية نصية دينية ، علما بأن هذا الواقع قد لا يكون منضبطا بضوابط المنهج الصحيح ، فذلك خطأ حلمى فادح

فالمصدر يجب أن يقاس بذاته لا بالوسط المؤثر فيه ، لأن الاستجابة لتأثير هذا المصدرلا يضمن لها أن تكون استجابة كاملة (١) فقد تكون كذلك ، وقد لا تكون ، حتى إنه مع كونها استجابة كاملة لا يصح استنطاقها بالدليل دون المصدر ، ولا يمكن علميا الاعتماد عليها فى هذا الصدد .

وناهيك عن فساد التصور المستقى من هذا الوسط إذا كان غير

(١) وهذا لا يرجع إلى قصور فى المنهج ، وإنما إلى عدم الاستجابة لهذا الدين أو ضعفها !!

كامل الاستجابة .

إن هذا المنهج قد يمكن الاعتماد عليه - تجاوزا - فى دراسة الجوانب التأثيرية للمذاهب الفكرية المعاصرة والتى تجردت من السمة الدينية ، أو التى انبثقت عن دين محرف أو عن تصور دينى مغال أو مقصر مجاف لطبيعة الدين الحق ، والتدين الصحيح .

وهذا لأن هذه المذاهب ليس لها آثار إيجابية فى الواقع جديرة بالتقدير ، فضلا عمالها من آثار سلبية خطيرة على الكيان الإنسانى بوجه عام ، والعقل الإنسانى بوجه خاص ، كالمذاهب المادية والإلحادية والمثالية والعقلانية والوجودية ... وغيرها

وهنا يمكن أن ننطلق من الواقع لنبين خطأ مذهب ما من هذه المذاهب أو قصوره .

ولما كان الدين الإلهى الصحيح - السالم من التحريف - محال أن يكون له آثار سلبية ، لأنه صادرا عن الله تعالى ، بل إنه جاء لينقذ البشرية من وهدتها ويهديها إلى الله تعالى ويترقى بها فى مدارج الرقى والكمال .. لما كان كذلك فإنه لا يمكن أن نطبق عليه هذا المنهج ، لأنه كامل فى مصدريته .. كامل فى ذاته .. كامل فى تأثيره .

وانتهاج هذا المنهج فى دراسة قضاياه ظلم له ، وانتقاص منه ، ووضع له مع الأديان المحرفة والمذاهب الوضعية فى ميزان واحد .

الفصل العاشر

انتزاع الأدلة من الوسط المغاير

الفصل العاشر

انتزاع الأدلة من الوسط المغاير

من الأخطاء المنهجية فى الاستدلال التى وقع فيها المستشرقون فى ميدان الدراسات الإسلامية اعتمادهم الفكر الغربى لا الإسلامى مادة للاستدلال .

ولا مرية أن هذا المنهج يحتم الخطأ فى النتائج المتمخضة عن هذه الأدلة ، وذلك لأن عناصر الاستدلال قد انتزعت من رؤى وتصورات ومفاهيم غربية تتجافى مع روح الإسلام وأصوله وقواعده العقدية والتشريعية والاخلاقية إن لم تتناقض معهما وتتنافى ، هذا من جهة .

ومن جهة أخرى فإن هذه الرؤى والتصورات الغربية عن قضايا الإسلام نتاج قريحة استشراقية تشبعت بالعداء للإسلام فاندفعت بالهوى والتعصب إلى اللاموضوعية ، فجاءت نتائجها ضربا من التوهم والحدس ، والادعاء والافتراء لا تخلوا من تناقض ، ولا تنفك عن هوى !!

فضلا عن أنها منبثقة من فلسفات مادية هابطة ومدارك ومدراك قاصرة غير منضبطة بضوابط الدين الحق ، ولا مقيدة بالإيمان الصادق ، ان لم يسدها النزعة الالحادية ، وتسيطر عليها النزعة العقلانية والمادية .

وانتزاع الأدلة من هذه الرؤى والتصورات يمثل محاولة اختراق للفكر الإسلامى فى العقلية الغربية وتوجيها له وفق معطيات ومقررات الفكرة الاستشراقية التى لا تنفك عن تلك الصفات التى تسم البحث العلمى بالعقم واللاموضوعية .

مثال

أرجع المستشرق دينيس سورا الفكر الدينى - بما فيه الإسلامى - فى معرض الاستدلال على أن الدين حالة نفسية واجتماعية إلى مقررات

الدراسات النفسية والاجتماعية الحديثه إذ يقول : (إن الفكر الدينى يرجع إلى رغبة نفسية فى إشباع الإحساس بالحاجة إلى الخلود والحياة بعد الموت وإلى وجود إله رهيب معط) (١)

ويتضح من خلال هذا النص ما يلى

١- أن هذا المستشرق يرجع الفكر الدينى - بما فيه الإسلام - إلى حالة نفسية !!

٢- أنه يرى أن تصور وجود إله للكون يكون منبثقا عن شعور نفس بتلك القوة المسيطرة ، وليس له دلائل واقعية خارج النفس !!

وما دام الاعتراف بالدين ، ووجود إله الكون حاجة نفسية ، فالإيمان إذن أمر نسبى ، والتدين كذلك ، وليس لأحد أن يخرج هذا من إطار الضرورة النفسية إلى الحقيقة المطلقة ، فكل إنسان مقيد بحاجته النفسية ، فمن احتاج إلى تلك القوة وإلى الخلود والحياة بعد الموت فليؤمن بها ، ومن لم يحتج إليها لا شئ عليه فى عدم إيمانه بها !!!

وأرى أن الالتجاء إلى الحالة النفسية والاجتماعية فى بحث قضايا الاعتقاد ناشئ عن اتجاه مادى بحت ، يسيطر ويعنف على الدراسات الدينية ، يقتضى بأن الغيب المطلق يجب أن ينزع من دائرة الإيمان ، وأن تقصر هذه الدائرة على المحسوس والمشاهد !!!

وانتزاع الغيب المطلق من دائرة الإيمان نزعة الحادية تقضى على بعض الدراسات الاستشراقيه الدينية التى تسيطر عليها هذه النزعة بالعقم ، وخاصة فيما يتعلق بالإلهيات ، والنبوات والسمعيات .

ويجب ألا يغيب عن أذهاننا أن من بين المستشرقين ملاحدة لهم موقفهم

(١) نقلا عن الاستشراق وجه للاستعمار الفكرى ، عبد المتعال الجبرى ص ٢٣٣ . مرجع سابق .

الخاص من الأديان والمعادى لها ،وأمثال هؤلاء يسقطون الخلفية الفكرية الإلحادية على بعض المفاهيم الإسلامية .

{ وهذا يعكس الخلفية الفكرية لبعض المستشرقين الذين هاجموا نبى الله عيسى عليه السلام واتهموه بالجنون ، وبأنه هو وأمثاله موسى وداود أشخاص غير تاريخية ، ومن ثم فإن مهاجمتهم للنبى محمد - ﷺ - تتمخض للتجريح والهدم لا للبحث عنه الحقيقة العلمية أو التاريخية ، ومن هؤلاء (فولتير) الذى هاجم الأنبياء فى شخص سيدنا محمد - ﷺ - بمسرحيته - التعصب - عام (١٧٤١م) وأهداها إلى البابا (بنوا الرابع عشر ، للتمويه بأنه لا يريد إلا محاربة سيدنا محمد - ﷺ - وقد كان هاجم من قبل الكهنة واتهمهم بالوثنية فى مسرحيته الأولى - أوديب - عام (١٧١٨م) } (١)

وهكذا يأبى هذا الفريق من المستشرقين إلا إخضاع المقررات الإسلامية - فى معرض الاستدلال - لرؤاهم وتصوراتهم وفلسفاتهم الإلحادية ، ويصرون على التشكيك فى أصول الإسلام ونبيه والكتاب الذى أنزل إليه وسننه ومفاهيم الإسلام ومقرراته ، مثلما فعلوا ذلك بأديانهم من قبل ، إذ كفروا بها وانسلخوا منها ، لأنها مليئة بالمتناقضات ، وتشوبها فلسفات يكتنفها الغموض ، وراحو يخلعون هذه المتناقضات على الإسلام ، ويحاولون فلسفته فى ضوء هذه الفلسفات المادية الخاطئة بغية تشويهه ، وإثارة الشكوك فى أصوله وقواعده ومبادئه وأهدافه ونظمه التشريعية .

على أن هذا الاتجاه لم يكن يلقى عند بعض المستشرقين رواجا ، فقد واجهته انتقادات عنيفة من قبل هؤلاء .

---

(١) الإيدلوجية بحث د . محمد خليفة حسن من كتابا دراسات استشراقية وحضارية ص ٣٦٥ مرجع سابق ، والاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم د. السباعى ص ٤٨ ، ٥١ مرجع سابق .

يقول المستشرق (ليورنالدو بانيد) ففى دراسات الشرق الأوسط العديد من الأمـراض والأخطاء ومن أهـم هذه الأمـراض : سـيطرة التـصـورات والانطباعات الذاتية للدارسين على الموضوعية العلمية ، وأرجع ما ترتب على هذا من تشويه أيديولوجى للفكر الإسلامى إلى التعصب الدينى من جـهـة والعجز العلمى وعدم الكفاية العلمية للباحثين من جهة أخرى) (١) •

(إنه من المتعذر ، بل من المستحيل أن يتجرد المستشرقون عن عواطفهم وبيئتهم ونزعاتهم المختلفة ، وأنهم كذلك قد بلغ تحريفهم لسيرة النبى - ﷺ - والصحابة مبلغا يغشى على صورتها الحقيقة من شدة التحريف فيها ، وبرغم ما يزعمون من اتباعهم لأساليب النقد البريئة ، ولقوانين البحث العملى الجاد ، فإنا نجد من خلال كتاباتهم محمدا - ﷺ - يتحدث بلهجة ألمانية ، إذا كان الكاتب ألمانيا ، وبلهجة إيطالية إذا كان الكاتب إيطاليا ، وهكذا تتغير صورة محمد - ﷺ - بتغير جنسية الكاتب ، وإذا بحثنا فى هذه السيرة عن الصورة الصحيحة فإنا لانكاد نجد لها من أثر ... إن المستشرقين لم يمكنهم أن يلبسوا الصورة الحقيقة لأشخاص السيرة تصورهم حسب منطقهم الغربى وخيالهم العصرى) (٢) .

وثمة أمثلة ضربها بعض المستشرقين ليؤكدوا على نتيجة تمخضت عن منهجيتهم هذه بالغة فى الإغراب هى أن الفكر الإسلامى كالنصرانى كلاهما يعتبر المرأة مصدرا للشر ، يقول (ولديورانت) : (كان الفكر الإسلامى

---

(١) الاستشراق وجه للاستعمار الفكرى د. الجبري ص ٢٣٣ مرجع سابق .

الأيديولوجية : راجت فى إيطاليا فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر وامتدت إلى بقية بلدان أوربا الغربية . وتمثلت فى الدعوة إلى الثقافة القديمة باعتبارها ثقافة مركزها الإنسان وكرامته وقيمته ، وهى بالإضافة إلى البعد التاريخى كل دعوة لها نفس الموضوع) المعجم الفلسفى د. عبد المنعم الحفنى ص ٢٠٤ - الدار الشرقية - ط (١) ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

(٢) نقلا عن مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية والاسلامية جـ١ ص ٣٣ وما بعدها .

كالفكر النصرانى يعتبر المرأة مصدرا رئيسا للشر لا يمكن السيطرة عليه إلا بإخضاعها إخضاعا صارما)(١) .

ومن ثم يتضح مدى اغتراب المستشرقين فى إنشاء الدليل من خلال رؤاهم وتصوراتهم لبعض قضايا الإسلام ، فالإسلام لا ينظر إلى المرأة على أنها مصدر للشر لا يمكن السيطرة عليه إلا بإخضاعها إخضاعا صارما ، ولا يقف منها هذا الموقف الذى تقفه منها النصرانية كما يقول (ول ديورانت) بل إنه يحترم المرأة ويقدرها ويصونها بتشريعه من أن تكون كلأ" مباحا لكل راتع .

ولعل حديث القرآن الكريم عنهم فى سورة الأحزاب يوضح قيمة المرأة فى الإسلام قال تعالى : (**إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثير والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما**) (٢) .

فجعل منهن المسلمات والمؤمنات والقانتات والصادقات والصابرات والخاشعات والمتصدقات والصائمات والحافظات لفروجهن والذاكرات الله كثيرا وأعد لهن مغفرة وأجراً عظيما ، وهم بهذا مصدر للخير لا للشر (٣)

---

(١) قصة الحضارة ول ديورانت ترجمة أ . عبد الحميد يونس حـ٤١ ص ١٤ مطابع الدجوى ١٩٧١م

(٢) الأحزاب :٣٣ .

(٣) ولسنا هنا بصدد مناقشة هذه الشبهة ، وإنما بصدد بيان خطأ الاستدلال لدى المستشرقين ، ومن أراد المزيد من النقد لهذه الشبهة فليرجع إلى كتاب : من أعلام النساء المسلمات د. حسن عبد الرؤف البدوى مطبعة الفجر الجديد ظ (١) ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م وكتابه المرأة فى ظل الإسلام ط (١) رمضان مارس ١٤١٣هـ - ١٩٩٣ م .

وقد أوصانا الإسلام بالنساء خيرا فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**فاستوصوا بالنساء خيرا**) (١) .

وثمة أحاديث كثيرة رويت فى هذا الصدد نجد فى ذكر هذا الحديث غنى عنها .

ومن ثم يتضح أن الإسلام لم ير فى النساء ما رأته النصرانية فيهن أنهن بطبيعتهم مصدرا للشر ، وإنما رأى أنهن قد يكن مصدرا للعفة والطهارة وسكنا لأزواجهن ، وأمهات صالحات لأبنائهن شريطة حسن التربية والتأدب .

وبين الإسلام أن التربية مصدر للخير إن كانت حسنة ، ومصدر للشر إن كانت سيئة ، ولم يرجعها إلى الأصل التكوينى الفطرى للنساء .

ولا يستقيم القول بأن الله تعالى لا يأبى الضير حتى يقال إنه جعل ذلك طبعا تكوينيا خلقيا لهن ، وإن رأى النصارى جواز ذلك فى عقيدتهم ، فلا نراه نحن المسلمين جائزا فى عقيدتنا ، لأنه ينسب الظلم إلى الله تعالى ، وهو فى حقه محال .

قال رسول الله ﷺ : ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه ، أو يمجسانه) (٢)

ولفظ المولود عام يشمل الذكر والأنثى ، فالأصل فى التكوين لكلا النوعين إنما هو على الفطرة النقية الصافية . فإما أن يبقى كلاهما على طهارة أصله التكوينى ، وإما أن يدنسه

وهذا أثر مباشر للالتزام بالمنهج الإلهى وعدم الالتزام به .

---

(١) صحيح البخارى من فتح البارى كتاب النكاح باب الوصاة بالنساء بسنده عن أبى هريرة رقم ٥١٨٦ . وفى رواية (واستوصوا) بدلا من (فاستوصوا) .

(٢) تخريج الحديث : مسلم القدر باب معنى كل مولود على الفطرة رقم ٦٦٩٧ .

لعله قد اتضح من خلال ما سبق خطأ هذه الركيزة المنهجية فى المنهج الاستدلالى لدى المستشرقين ، واتضح خطورتها فى نتائج البحث العلمى وفى تشكيل وتوجيه الفكر الغربى فى الدراسات الإسلامية ، ومدى ترسيخه والاحتكام إليه !!

على أن هذا الاحتكام يمثل تمثيلا صارخا (لا موضوعية) كثير من البحوث الاستشراقية التى تعتمد هذه الركيزة منهجا فى الاستدلال فى بحث قضايا الإسلام .

لأن كثيرا من المستشرقين جعلوا الفكر الاستشراقى على طرف نقيض مع الفكر الإسلامى ، بل مع الإسلام ذاته يأخذ صفة الثبات والدوام !!

وإنشاء الدليل من الأفكار المناقضة (الفكر الاستشراقى) لإصدار حكم ما على الأفكار المغايرة لها (الفكر الإسلامى) حتما سيؤدى إلى تعارض الأدلة (١)، والإصرار على المضى فى البحث مع هذا التعارض سيؤدى إلى تناقض فى النتائج .

على أن هذا التناقض يعتبره المستشرقون دليلا واضحا على صحة رؤاهم وتصوراتهم لقضايا الإسلام مع أنه يكون عند التحقيق دلائل قوية على تهافتها ، وانحرافها !!

وقيمة هذه الرؤى والتصورات الاستشراقية لا تكون إلا بانطباقها التام مع الرؤى والتصورات الإسلامية ، فهى ليست قياسا لذاتها ، ولا تصلح أن تكون معيارا للحكم الصحيح ، ولا مضمونا من مضامين البحث العلمى الجاد ، لأنها نتائج قرائح بشرية ، وإدراك قاصر ، بخلاف الإسلام فهو دين إلهى المصدر سالم من التحريف والتبديل ، والاحتكام إلى تلك التصورات

---

(١) وتعارض الأدلة لا يعنى تكافؤها واستواء المرجحات فيها ، وإنما يعنى به هنا التناقض الذى يستحيل التوفيق معه بين عناصر الدليل .

الاستشراقية ، وجعلها قياسا علميا لهذا الدين الإلهى لون من العبث ، وضرب من الخبط ، يدل على تهافت الفكر البشرى واختلال موازين البحث العلمى .

ذلك أن " المعصوم " هو المقياس الفعلى فى ميدان البحث العلمى النزيه ، وأنه هو المعيار الوحيد لإصدار أحكام معتدلة ، والتوصل إلى نتائج فعلية وجادة ، وأنه لا يحال فى الاحتكام إلى غيره ، وأن " غير المعصوم " هو الذى يجب أن يخضع لثوابت المعصوم وأصوله وقواعده ومبادئه ومقرراته ومعطياته .

وهذا أمر يجب مراعاته فى الدراسات الدينية واعتبارها قاعدة رئيسة من قواعد البحث العلمى ، أو منهجا رئيسا من مناهجه.

وأعتقد اعتقادا جازما أن غياب هذا الضابط عن كثير من بحوث المستشرقين فى الدراسات الإسلامية كان سببا رئيسيا لانحراف هذه البحوث عن الجادة والقضاء عليها بالعقم .

الفصل الحادى عشر

الاستنتاج الخاطئ من الأدلة

الفصل الحادى عشر

الاستنتاج الخاطئ من الأدلة

لا يخفى عن أرباب العقول السليمة والقرائح الصافية والنوايا الصادقة فى ميدان البحث العلمى أن عملية الاستدلال واحدة من أخطر قضايا البحث العلمى ، وأنها تؤثر إيجابا أو سلبا فى اتجاهات البحث وموضوعيته ، ومصداقيته .

ذلك لأن بناء الدليل على وجه من الصحة يحتم التوصل بالباحث إلى نتيجة تتسم بنفس سمة الدليل ، من حيث صحته ... وصدقه ... وموضوعيته .. وأنه يجب أن يتوفر طبقا لمقررات البحث العلمى حسن الفهم للأدلة ، لأن ذلك سيؤدى إلى حسن الاستنباط ، مما يكون له أثره البالغ فى بناء المقدمات ، وترتيب النتائج عليها ، فيؤدي ذلك إلى انتزاع الحكم من الدليل فى صورة تحليلية لعناصره ، وما يستكنه من عناصر جديرة بالاحترام يمكن أن ينتزع منها الحكم على نحو من الموضوعية والتجرد ، والنزاهة

أما سوء الفهم للدليل فى قضية الاستدلال سيؤدى إلى فساد ما ينتزع منه من تصورات ورؤى ، وما يكون منه من مقدمات ومايترتب عليه من نتائج فيؤدى ذلك إلى فساد عملية الاستنتاج ، وبالتالى سيتحتم فساد الحكم المنتزع منها .

ولا مرية أن مجئ الاستدلال على هذه الصورة غير الموضوعية ، بل والخاطئة سيؤول بالبحث إلى متاهات الغموض ، وضروب الالتباس ، مما يجعل الدراسة لونا من الخبوط ، ويجعل النتائج ضربا من العشوائية ، ويسم البحث بأبشع سمات الاستنتاج ، والتى لا تدل إلا على سوء الفهم ، والغرض ، والتحكم .

وتلك أخطر افات البحث العلمى ، لأنه لا يترتب عليها ، ولا يتمخض عنها إلا نتائج تتسم بالعقم ، ودراسات تستغرق من التشقيقات الجدلية ، والفلسفيات المقيتة الحد ، مما ينزع عنها الجدية ، وينفى عنها العلمية والموضوعية ، ويجعلها فى نطاق الدراسات الموجهة المحكومة بالهوى .

وإذا يممنا وجهنا شطر الدراسات الاستشراقية المتعلقة بقضايا الإسلام ، ونظرنا إليها من خلال منظور نقدى دقيق سنجد أنها أرضا خصبة لنمو مثل هذه الاتجاهات الاستدلالية فى ميدان البحث العلمى ، وسوف لا نجد صعوبة مطلقا فى استنباط هذه المنهجية الخاطئة فى إنشاء الدليل لدى المستشرقين ، لأنها اتجاهات مدفوعة بالهوى والغرض !!!

ولا تعدو هذه الدراسات القائمة على هذه المنهجية إلا أن تكون انحرافا خطيرا فى ميدان البحث العلمى ، واتجاها به إلى اللاموضوعية ، والفوضوية .

وأنا إذ أقرر أن الاستنتاج الخاطئ من الأدلة ركيزة من ركائز المنهج الاستدلالى لدى المستشرقين فى الدراسات الإسلامية وخصيصة من خصائصه ، لا أكون مدعيا ، ولا راجما بالغيب ، وإنما أقرر ذلك من خلال أدلة قلبت فيها وجوه الفهم الصحيح ، وابتعدت عن التصيد وتركت مالا يمكن الاستدلال به على وجه قوى – مما هو دأب المستشرقين – حتى أضمن ، أن تأتى النتائج على وجه صحيح .

مثال :

ومن الأمثلة الدالة على هذه الخصيصة المنهجية القاصرة فى الوسط الاستشراقى وفى هذا الصدد : استنتاجهم الخاطئ من قصة السيدة مريم – رضى الله عنها – الواردة فى القرآن الكريم ما يلى :

١- دعوى وقوع الخطأ فى القرآن الكريم !!

٢- دعوى بشرية أو عندية القرآن الكريم !!

على أن الدعوى الأولى لازمة من لوازم الدعوى الثانية ، فهى متمخضة عنها ، وهاتان دعويان منبثقتان عن زعمهم أن رسول الله محمد - ﷺ - كان دارسا مبتدئا للكتاب المقدس ، وأنه تأثربه فى بنائه العقدى والأخلاقى إلى حد بعيد وراح هؤلاء المستشرقين ليتكلفوا فهم الدليل على غير وجهه ، واستنتاج هذه النتائج المزعومة منه على هذا النحو فقالوا :

{ (اختلط على محمد - ﷺ - فى القرآن الكريم أن مريم أم عيسى - عليه السلام - هى مريم أخت هارون مع أن الفارق الزمنى بينهما كبير) يشيرون إلى قول الله تعالى : " **ياأخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا** " (١) } (٢)

وهذا الاختلاط - المزعوم - ناشئ - فى تصورهم - من زعم مطالعة الرسول - ﷺ - للكتاب المقدس .

وقد جعل المستشرقون هذا الخلط المتوهم مادة للاستدلال الخاطئ والاستنتاج الناشئ عنه ، ومن خلاله انتزعوا هذه الأحكام الخاطئة التى تتلخص فى أن القران الكريم ليس من عند الله تعالى ، وإنما هو من عند محمد - ﷺ -

ومسلكنا فى بيان خطأ القاعدة المنهجية فى الفكر الاستشراقى يتمثل فيما يلى :

---

(١) مريم : ٢٨ .

(٢) الاستشراق والمستشرقون د. عبد الجليل شلبى ص ٢٩ مرجع سابق . وراجع فى هذا دراسات استشراقية وحضارية ص ٣٦٤ . مرجع سابق .

١- بيان خطأ الاستنتاج من خلال الدليل الذى أنشأوه .

٢- إثبات أن القرآن الكريم من عند الله تعالى وليس من عند محمد ﷺ من خلال سياق الدليل المنتزع من قصة مريم فى القرآن الكريم .

أولا : بيان خطأ الاستنتاج من خلال الدليل الذى أنشأوه .

إن ذكر المستشرقين هذه القصة والتركيز عليها فى معرض الاستنتاج المتكلف ، والبرهنة على صحته من خلال مادة الاستدلال فى هذه القصة لا ينهض دليلا يؤيدهم فيما ادعوا ، ولا يكاد يصمد أمام النقد السديد ، وذلك لما يلى :

١- ربما تجاهل المستشرقون أو جهلوا أن الوصف بالأخوة فى قول الله تعالى (**يا أخت هارون**) وإن اختلف فيه المفسرون ، فقال جماعة : إنه حقيقة ، وقال آخرون : إنه خرج مخرج المجاز .

والذين قالوا إنه حقيقة قالوا : إن مريم كان لها أخ يسمى هارون غير هارون أخى موسى - عليهم السلام - وأنه كان صالحا ، فعيرت به مريم ، لأنهم أعدوا ما تصوروه منها فاحشة شذوذا عن بيئة طيبة عرفت بالتقوى والصلاح .

والذين قالوا إنه مجاز قالوا : إن لفظ الأخ يطلق على من اجتمعوا على صفة واحدة ، فيقال : فلان أخو فلان فى الكرم ... وكذلك فمريم أخت هارون فى التقوى والورع والصلاح .

وقالوا فى تفسير هذه الآية غير هذا ، إلا أنهم لم يقولوا بأنها أخت هارون أخى موسى عليهما السلام حقيقة ، وإن كان هناك من يقول هذا فإنما أوله بأنها كانت من نسله ، وكانوا يطلقون على النسل أخا هارون وأخت هارون ، كما يقال : يا أخاتميم للتميمى ، وللمضرى :

يا أخا مضر (١).

وليس فى هذه الاية ما يدل على أن الرسول - ﷺ - تعلم الكتاب المقدس أو اطلع عليه ، وإنما تدل دلالة واضحة على أن المستشرقين لم يفهموا لغة القرآن الكريم وسننه فى التعبير فهما دقيقا ، ولا هم يدركون ما تذخر به لغته من أسرار ودقائق .

وإن ادعوا أنهم يعون دقائقها ، ويقفون على أسرارها، فإن هذا يعد حجة عليهم لا حجة لهم ، ويشهد عليهم بأنهم مغرضون يحكمون هواهم فى فهم القرآن الكريم ، ويتصيدون من الآيات ما يزعمون أنها تؤيد ما يذهبون إليه من سفاسف وترهات .

ثانيا : إثبات إلهية القرآن الكريم من خلال الدليل المنتزع من قصة مريم لأثبات عكس القضية .

إننا سوف لا نذهب بعيدا فى تقرير إلهية القرآن الكريم عن دائرة الدليل الذي انتزعه المستشرقون من قصة السيدة مريم - رضى الله عنها - لإثباتهم النتيجة السالبة ، وهى بشرية القرآن الكريم أو " عندية " أى الزعم بأنه من عند محمد ﷺ .

واعتمادنا على هذا المنهج يكون أبلغ فى الرد والنقد والتفنيد من باب أخذ كلام الخصم ورده عليه ، أو إقامة الدليل ببطلان الاستنتاج من نفس منطوقه ، وهو أدخل فى باب النقض والبناء .. نقض النتيجة السالبة ، وبناء وإثبات النتيجة الموجبة ، وهى أن القرآن من عند الله تعالى ، وليس لغيره تعالى

---

(١) راجع تفسير روح المعانى للإمام الألوسى حـ١٥ ص ٨٨ مرجع سابق ومفاتيح الغيب للإمام الرازى حـ١٠ ص ٤٤٠ دار الغد العربى ط (١) ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م ، وتفسير الإمام ابن كثير حـ٣ ص ١١٨ مرجع سابق ، وراجع تفسير الإمام الطبري حـ٨ ص ٣٧ دار الغد العربى بدون تاريخ .

فيه حرف (١) ولو كان نبيا رسولا؟

وسوف أوضح هذا - بمشيئة الله تعالى - فيما يلى :

١- إذا تتبعنا سياق قصة السيدة مريم فى القرآن الكريم نجد أنها خطابا من الله تعالى لرسوله - ﷺ - وقد ابتدأ القصة كما بدأ قصة نبى الله زكريا - عليه السلام - بلفظين مشتقين من مادة (ذكر) هما (**ذكر رحمة ربك**) (٢) و (**اذكر فى الكتاب مريم**) (٣) وكلا اللفظين ، وخاصة الأخير يدل على صدور هذه القصة عن جهة مخاطبة آمرة موجهة ، ولا يستقيم القول بأن الرسول - ﷺ - هو الذى قال ذلك ، إذ أن الآمر يكون غير المأمور ، والمخاطب ، غير المخاطب والرسول - ﷺ - مأمور وليس آمرا ، وهو مخاطب وليس مخاطبا ، وكل تفصيلات القصتين تؤكد هذا ، مما يدل على أن القصة التى يستدلون بها أن القرآن من عند محمد - ﷺ - وليس من عند الله تعالى ، وأنه استقاه من أهل الكتاب أو من الكتاب المقدس باطلة ، وأنها لا تعدو كونها زعم أو محض افتراء لرد أصول الإسلام إلى أصول يهودية أو نصرانية .

٢- وسياق قصة السيدة مريم ونبى الله عيسى عليه السلام فى القرآن الكريم تنفى أيضا مزاعم النصارى فى أن محمدا - ﷺ - أخذ القرآن عن مصادر نصرانية ، إذ أنه لو نقل عنهم لما خالفهم فى أهم قضايا العقيدة

---

(١) قال تعالى فى معرض نفى أن يكون لرسول الله محمد ﷺ فى القرآن أدنى تقول (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين) الحاقة : ٤٤ ، ٤٧ .

(٢) مريم : ٢ .

(٣) مريم : ١٦ .

المتعلقة بالإله الحق المعبود . ووقوع المخالفة يدل على بطلان ما ادعو مما يدل على أن الزعم بعندية القرآن المنسوبة إلى الرسول ﷺ- منتف وباطل ، وثبتت عنديته المنسوبة حقا إلى الله تعالى ، وأنها حق لا ريب فيه .

فقد قال - تعالى على لسان عيسى - عليه السلام - (**قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبياً**) (١) .

وهذه من قبيل الإرهاصات التى أجراها الله تعالى - على يد عبده ورسوله ، وهو فى المهد أنه أقر بالعبودية لله تعالى ، وأنه نبى مرسل من لدنه إلى بنى إسرائيل ، وكان هذا التقرير فى هذه المرحلة المتقدمة من العمر (المهد) بمثابة نفى لكل صور الغلو فى شأنه عليه السلام والتى ستكون فيما بعد . أثار مثارا للفتنة فى الدين فقوله (إنى عبد الله) تقرر بشريته ، وعبوديته لله تعالى وتنفى نبوته له تعالى فقوله (**آتانى الكتاب وجعلنى نبيا**) تؤكد وصفه بأنه نبى مرسل ، وليس بإله أو إبن إله .

وجاء قول الله تعالى - (**ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون**) (٢) . بمثابة تعقيب على اعتقادات النصارى الفاسدة فى شأن عيسى عليه السلام - والتى فصلت فى سور أخرى من أنه إله ، وابن إله ، وثالث ثلاثة - وتوضيح لأسس الاعتقاد السليم ، وبيان حقيقة عيسى عليه السلام ، فلو أن الرسول ﷺ - أخذ هذه القصة عن أهل الكتاب لنقل عنهماالتثليث وارتضاه عقيدة ، ولنقل عنهم صلب عيسى عليه السلام وأقرة ، ولكن

(١) مريم ٣٠ .
(٢) مريم ٣٥ .

القرآن الكريم ينفى التثليث ، ويكفر القائلين به (**لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد ...**) (١).

ويكذب ادعاءاتهم فى صلبه وينفيه عنه ، ويبطل اعتقادهم فيه ، قال تعالى : (**وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما**) (٢).

من ثم يتضح من خلال سياق قصة مريم – عليها السلام – أن القرآن من عند الله وليس من عند محمد ﷺ لأنه لو كان من عنده لأقرهم – على الأقل – على أسس عقيدتهم ، ولكن القرآن الكريم نفى ذلك وأبطله وبين أنه كفر بالله سبحانه وتعالى (٣).

ولئن كان الرسول - ﷺ - نقل عنهم فلم لم ينقل فى القصة ما جاء فى كتبهم فى شأن عيسى - عليه السلام - إذ يقولون تارة إنه ابن يوسف النجار وتارة ابن الله وتارة ولد زانية !!! ولكن القرآن الكريم جاء خاليا من هذه المزاعم كلها مبطلا لها فدل ذلك على انتفاء عنديته المنسوبة إلى رسول الله - ﷺ - وثبت عنديته من الله تعالى .

على أننا لسنا هنا بصدد مناقشة شبهات أثارها المستشرقون حول قضايا الإسلام ، وإنما يقتصر بحثنا هذا على بيان ركائز المنهج الاستدلالى وخصائصه لدى المستشرقين فى دراسة الإسلام من حيث العرض والتناول ،

---

(٣) المائدة : ٧٣ .

(١) النساء : ١٥٧.

(٢) راجع تفسير روح المعانى للإمام الألوسى حـ٦ ص ١٠ ، حـ ١١ ص ٢٠٧ مرجع سابق . وتفسير الطبرى حـ٨ ص ٣٧١ ، حـ٤ ص ٣٨٨ مرجع سابق

وبيان ما تنطوى عليه من أخطاء منهجية وعلمية فادحة .

لذا فإننا لن نحصى مثل هذه الشبهات أو نذكرها هنا فى معرض التفنيد ، فذلك يحتاج إلى لون خاص من البحث يتحدد مجاله فى دراسة الشبهات ونكتفى بالإحالة إلى بعض المراجع التى اهتمت بهذا اللون من الدراسة (١) .

ولعله قد اتضح من خلال ماسبق التكلف فى الاستنتاج من الأدلة والذى يعتبر أحد ركائز المنهج الاستشراقى فى إنشاء الدليل فيما يختص بقضايا الإسلام ، مما أوقع المستشرقين فى أخطاء علمية فادحة حيث حملوا الاستنتاج على غير وجهه ، وتحكموا فيه فعزلوه فى الواقع عن الدليل منطوقا ومفهوما ، ولم يبق الدليل إلا رسما متوهما خاليا من الإيحات الصحيحة التى تدعم الاستنتاج وأصبح قوالب مصبوبة لا تصمد أمام النقد الموضوعى ، لأنه لا يربطها بالاستنتاج أدنى صلة .

ولا مرية أن مثل هذا المنهج المتبع فى الاستدلال يفقد الدراسات الاستشراقية قيمتها ، ويسمها بأنها اتجاه بالدراسة إلى اللاموضوعية واللاعقلانية ، واللاعلمية ، ويحصرها فى دائرة الاحتمالات التى لا ترقى فى الغالب إلى القطع الذى يفيد اليقين ، مما يجعلها قيد التشكك، ومثار الارتياب ويجعلها من النفى أقرب منها إلى الإثبات .

---

(١) راجع الإسلام والمستشرقون د. عبد الجليل شلبى ص ٣٠ ، ٣١ مرجع سابق . وصور استشراقية له أيضا ص ٣٣ وما بعدها مرجع سابق . والاستشراق والخليفة الفكرية د. زقزوق ص ٩٩ وما بعدها مرجع سابق .

الفصل الثانى عشر

تحكيم النزعة التجريبية فى الاستدلال

الفصل الثانى عشر

تحكيم النزعة التجريبية فى الاستدلال

لا مرية أن المنهج التجريبى له ثمراته فى ميدان البحث العلمى ويتأتى بنتائج إيجابية وصادقة ، لكن ليس على وجه الضرورة والإلزام ، وليست الإيجابية وصفا مطلقا لكل ما يتمخض عنه من نتائج ، وإن كانت النسبة الموجبة فيه هى السمة الغالبة .

وأصدق ما تكون نتائجه فى بحوث المادة (أى فى الملموسات والمحسوسات) والتى تعتمد على المشاهدة والمعاينة ، واحتمال نسبة السلب فى هذا الاتجاه قليلة إن لم تكن ضئيلة .

لكننا لا نستطيع أن نسحب هذا الوصف على إطلاقه على الدراسات النظرية التى أخضعها البعض للتجريب ، وأخضعوا لها الدراسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فضلا عن الدراسات الدينية .

وتكمن خطورة التجريب بالدرجة الأولى فى ميادين الدراسات الدينية وخاصة ما يتعلق منها بالإسلام كدين إلهى صحيح سالم من التحريف والتبديل وخاصة فى مجال العقائد وأصول التشريع وذلك لما يلى :

١- لأن النسبة الموجبة فيما يتمخض عنها من نتائج تكون فى بعض الأحيان – إن لم تكن فى أغلبها – احتمالية ظنية ، وهذه نتائج يبطل بها الاعتقاد الصحيح .

٢- أنها تجعل الدين مادة للتجريب ، والدين فوق التجربة ، ولا يعنى هذا أن الدين غير واقعى ، أو غير موضوعى ، وإنما يعنى به صيانة قيمة الدين والحفاظ على بنيانه وهيكله ونظمه ومبادئه فضلا عن أصوله وقواعده . وحديثنا هنا عن الدين الصحيح .

وعابث كل العبث من يجعل العقيدة ، وهى أساس الدراسات الدينية

ومبناها الأول ، وكذلك الشريعة موضعا للتجريب لأن هذا يعنى أننا نخضع الدين لمدى إمكانية التجريب ، ويبيت تطبيقه أمرا احتماليا طبقا لما يتمخض عن التجريب من نتائج !!

وبذلك يكون الدين عرضة لأن يقوم أوّلا يقوم ، ولأن يكون دينا يتبع ويدان به ، أو فكرة ترفضها التجربة ويلفظها الواقع !!

وخذ على ذلك مثلا قضية التوحيد ، فهل يعقل بأن تجعل محلا للتجربة بحيث ينتظر نتيجة البحث فيها لأن تكون صحيحة أو خاطئة ، ولأن تقبل أو لا تقبل ؟!!

وقس على ذلك سائر القضايا الأصولية الدينية .

٣- أنها تجعل النبوات موضوعا للتجريب بحيث ينالها الإنسان بالمجاهدة ورياضات النفس ، وهو بذلك يسلك إليها سبيل التجربة ، فمن صدق فى تجربته ترقى إلى أن وصل إلى درجة النبوة !!

وهذا ينفى عن النبوة كل معانى الوهب والاصطفاء والاجتباء ، ويثبت لها الكسب المتمخض عن التجربة الذاتية .. ويصير من حق أى إنسان ارتأى أنه وصل هذه الدرجة - بناء على هذا الزعم الخاطئ - أن يعلق تنبؤه على الناس .

وقد يتساوى فى ذلك السوقى الذى ترقى فى طريق التخلية والتصفية والتحلية مع النبى الذى نشأ نشأة خاصة لم ينزلق إلى معصية ولم يجعل الله تعالى للشيطان عليه سبيلا ، بل أدى حياته كلها طاعة لله تعالى !!

مكمن الخطورة والخطأ الذى وقع فيه المستشرقون هو أنهم بنوا منهجهم فى الاستدلال على هذه الركيزة الخاطئة ، وهى تحكيم النزعة التجريبية فى مباحث النبوات كأصل من أصول الدين ، وواحدة من أخطر قضايا الاعتقاد !!

ولست فى هذا عابثا أو متجنيا أو متحكما ، وإنما أسوق الدليل من محيط الفكر الاستشراقى ، بما يبين - بما لا يدع مجالا للشك - أن كثيرا من المستشرقين ينتهجون فى الاستدلال تقرير هذه القاعدة الخطيرة كأحد مرتكزات إنشاء الدليل فيما يتعلق بالدراسات الدينية الإسلامية .

فهذه المستشرقة كارين أر مسترونج (١) فى باكورة بحوثها التى ترى أنها توصف بالاعتدال تقول : (وجدتنى أعيد النظر فى معنى التجربة الدينية نفسها ، فرأيت أن الأنبياء والرسل فى جميع الأديان الكبري يتميزون بأن رؤاهم للحقيقة المتعالية القصوى تتشابه فيما بينها تشابها كبيرا ، ومهما يكن التفسير الذى نختاره لهذه التجربة الإنسانية فهى لا يمكن إنكارها ... وأعتقد أن محمدا - ﷺ - مر بهذه التجربة ، وساهم مساهمة متميزة وقيمة فى التجربة الروحية للإنسانية) (٢) .

كما تقول : (وأن دراسة حياته - تقصد الرسول محمد - ﷺ - يمكن أن تهبنا إدراكا عميقا ومهما لطبيعة التجربة الدينية فجميع الأديان تمثل حوارا بين حقيقة مطلقة تستعصى على التعبير ، وبين الأحداث الدنيوية ، وفترة نبوة محمد ﷺ تتيح لنا أن نفحص هذا الحوار فحصا أوثق مما يتيسر للباحثين فى العادة .

فسوف نرى أن التجربة الدينية التى خاضها محمد تتشابه تشابها كبيرا مع تجارب أنبياء بنى إسرائيل ، ومع تجربة القديسة تريزا الأفيلية ،

---

(١) كاتبة بريطانية متخصصة فى تاريخ الأديان قضت شقا من حياتها راهبة ، ويبدو أنها وجدت حياة الأديرة غير موائمة لتجسيد رؤيتها الدينية الخاصة ، فتركت المسيحية ، وهى الآن كما تقول لا تدين بدين آخر ، ويبدو أنها تتبنى الآن قضية الحوار بين الأديان بمالَها من أهداف مغرضة ، وترى الكاتبة أنها تنظر للإسلام نظرة معتدلة لتخالف بذلك جمهرة المستشرقين راجع مقدمة كتابها : محمد ، ومقدمة المترجمان د. فاطمة ناصر ود. محمد عنانى ص ٥ - ٢٧ مرجع سابق .

(٢) المرجع السابق ص ٢٣ ، ٢٤ وراجع فيما يتعلق بقضية التجربة الدينية للأنبياء - على حد زعم المستشرقين - دراسات فى حضارة الإسلام هاملتون جب ٢٥٤ وما بعدها .

والسيدة جوليان من بلدة نوريتش ...) .

هذا هو قول كارين أرمسترونج فى التجربة الدينية وخاصة ما تسميه (تجربة) الأنبياء !!

وأنت ترى أن كلمة (التجربة) وتقصد بها النبوة - قد تكررت ثمانى مرات تقريبا فيما لا يتجاوز خمسة عشر سطرا - بعد حذف المراجع التى تحدثت عنها - وهذا يدل على مدى عمق إيمانها بأن النبوة (تجربة) أى كسب ، وليست وهبا أو اصطفاء واجتباءا .

وثمرة إيمانها بهذه (التجربة) أو تصورها للنبوة جعلها تقرن الحديث عما تسميه تجربة الأنبياء بحديثها عن تجربة القديسة تريزا الأفيلية والسيدة جوليان !! وهى بذلك تسوى بين الأنبياء وبين غيرهم !! وإن كانوا من خواص البشر .

ولا مرية أن الأحكام الدينية الثابتة ، وقضايا الدين الكلية ، والبديهيات العقلية تقضى بأن النبوة فوق مستوى التجربة الروحية بمضامنيها الثلاثة : التصفية والتخلية والتحلية ، وفوق مستوى التجربة المادية فيما يتعلق بأمر المعجزات وقضايا الإعجاز ، لأن المعجزات فوق مستوى التجريب البشرى ، وهى ليست خاضعة للقيد البشرى .

من ثم جاءت فوق مستوى الاقتدار ، والتفوق العقلى ، والنشاط الذهنى ، لأنها فعل الله تعالى المطلق من الحد ، المجرد من القيد ، الذى لا يعجزه شئ فى الأرض ولا فى السماء (١) .

---

(١) راجع فى هذه الفصل فى الملل والأهواء والنحل للإمام ابن حزم الظاهرى تحقيق د . عبد الرحمن عميرة حـ١ ص ١٤٠ وما بعدها مرجع سابق .وأعلام النبوة للإمام أبى الحسن البصرى الماوردى ص ٢٩ وما بعدها المطبعة النموذجية . بدون تاريخ ، الرسل والرسالات د. عمر سليمان الأشقر ص ٥٩ وما بعدها مطابع القبس التجارية الكويت ط (٤) ١٤١٠هـ - ١٩٨٩ م ، والعقيدة الطحاوية تحقيق جماعة من العلماء ص ١٤٩ المكتب الإسلامى ط (٨) ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

كما أن التصفية والتخلية والتحلية أمور قد تتوفر لكثير من أفراد النوع الإنسانى ، وإن وصلت بالإنسان إلى درجة الإشراق فهى لا تحبذ الحوم حول دائرة النبوة بحال ، ولو فتحنا ذلك الباب لكثرت التنبؤات القائمة على المزاعم والادعاءات ، ولجاء معنى الاعجاز عابثا ، لأنه لم يستنطق الواقع بدليل ، ولم يستلفت العقل إلى قضية الإمكان .

وإن أجرى الخارق على يد هذا المدعى ، فمن باب الإهانة والاستدراج ، لا من باب التأييد والتكريم .

هذا فضلا عن أن إخضاع النبوات للسيرة الذاتية ، والاتجاه التجريبى للمتنبئ يجعل النبوات ثمرة من ثمرات الرقى الإيمانى ، ولونا من ألوان الكسب المحض ، ويجردها تجريدا كليا من الوهب الإلهى ، ويفك عنها قيد الاصطفاء والاجتباء الإلهٰين .

وليس بخاف على الإطلاق ما يتضمنه هذا الاتجاه من مضامين غاية فى الخطورة على مقام النبوة وقضاياها الكلية والجزئية .

وقد وردت آيات كثيرة فى القرآن الكريم تؤكد أن النبوة منحة إلهية وأن طريقها الاصطفاء الإلهى مما يتضمن نفى الكسب عنها والتجريب والتدرج فى طريقها .

ومن هذه الآيات قول الله تعالى :

(أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) (١) .

(وكذلك يجتبيك ربك) (٢) .

---

(١) مريم : ٥٨

(٢) يوسف : ٦ والآية حكاية قول يعقوب عليه السلام لابنه يوسف عليه السلام .

(**إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى**) (١) .

(**الله أعلم حيث يجعل رسالته**) (٢) .

ولعله من خلال ما سبق يكون قد اتضح خطأ هذه القاعدة المنهجية فى الاستدلال فى مجال الدراسات الاستشراقية للإسلام بما ينفى عنها المنهجية السليمة والموضوعية وصدق الرؤية والتصور .

---

(١) الأعراف : ١٤٤ .

(٢) الأنعام : ١٢٤ .

الفصل الثالث عشر

إخضاع الاستدلال للدراسات النفسية

الفصل الثالث عشر

إخضاع الاستدلال للدراسات النفسية :

إن المنهجية العلمية الصحيحة والسليمة تقتضى مراعات خصائص الأفكار فى وعاء مميز ، ومن منظور تخصصى دقيق .

فالأفكار المنبثقة من وعاء دينى ينظر إليها بمنظار يتناسب مع طبيعتها ، وتلك المنبثقة من وعاء فكرى ينظر إليها من خلال منظور فكرى ، والمنبثقة من وعاء اقتصادى ينظر إليها من منظور اقتصادى ، وهكذا الدراسات الاجتماعية والنفسية ينظر إليها بمنظار اجتماعى نفسى ... الخ

كما يجب استخدام أدوات البحث العلمى المناسبة ، والمنهج العلمى الملائم ، والمتوافق مع طبيعة هذه الأفكار .

هذا إذا ما أردنا التجرد للموضوعية ، وعدم الخلط فى المناهج العلمية وتجنب الالتباس فى المفاهيم والأخطاء فى النتائج ، وإذا ما أردنا لبحوثنا لونا من النقلة ، ودرجة من العلمية .

وإذا كان البحث العلمى الدقيق يوجب علينا أن نتعامل مع الأفكار والقضايا المطروحة والمشكلات التى تعترضنا فى ميادين البحث بهذه الطرائق المناسبة ، ونتعامل معا بهذه المناهج الملائمة ، أفلا يكون ذلك أوجب فى مجال الدراسات والبحوث الدينية ؟ فيما يتعلق بالأصول والقواعد والكليات والجزئيات ؟!

إن هذا اللون من الدراسات يجب أن يحترم ، وأن يقدر قدره ، فينظر إليه نظرة إجلال وتعظيم ، لا أن يتهاون فيه ، أو يتنقص منه ، ويغض من قيمته . ولكننا عند مطالعاتنا للفكر الاستشراقى ، وفحص طريقة إنشاء الأدلة لدى المستشرقين ، فيما يتعلق بالدراسات الإسلامية نجد -

وللأسف – أن كثيرا من المستشرقين حاولوا إخضاع المفاهيم الدينية الأصولية للدراسات النفسية ، وحاولوا انتزاع الدليل من وعاء نفسى بحت ، مع استبعاد أي تفسيرات أو تأويلات دينية من شأنها الحفاظ على السمات الدينيه للقضايا مثار البحث .

ليضمنوا لفكرتهم المغرضة الذيوع والانتشار ، ولتزاحم المفاهيم الصحيحة لهذه القضايا !!

وهى لا تمثل بهذا فكرا صحيحا ، وإنما تمثل تيارا استشراقيا موجها وفكرا نزوعيا !! ومن هؤلاء المستشرقين و. مونتجمرى وات فى حديثه عن قضية الوحى ، فقد ذهب إلى أن الوحى ظاهرة صادرة من " **اللاشعور** " مقذوفة فى " **الشعور** " أى من العقل الباطن إلى العقل الظاهر على غرار ما يحدث للأشخاص فى الأحلام والأسارير النفسية .

ودار حديثه عن الوحى الإلهى على هذه الرؤية النفسية الخطيرة التى تقتضى أن القرآن الكريم ليس كلاما إلهيا ، وإن كان يرى أنه من ضروب الفعل الإلهى بمعنى الإلهام والأحاديث النفسية الصادقة ...

فهو – كما يزعم – لم ينف عن القرآن الكريم صفة الإلهية بإثباته فعلا إلهيا ، ولم يثبت أنه من تأليف محمد !!

ولا أدرى كيف لا يكون من تأليف الشخص ما يتأتاه من " **اللاشعور** " إلى " **الشعور** " ومن " **اللاوعى** " إلى " **الوعى** " وقد سلك فى سبيل تقرير ذلك ما يلى :

١- تفسير ظاهرة الوحى تفسيرا خاصا منبثقا عن الفكر اللاهوتى الذى يرى أن الوحى فعل إلهى مقدس فى أى صورة من صوره ، وليس ضروريا أن يكون كلاما ينقل بواسطة ملك إلى رسول .

وفى هذا يقول : (فالاتجاه الأساسى فى الفكر المسيحى الحديث هو اعتبار الوحى بمثابة أفعال الرب ، والرب يوحى نفسه ، وعلى هذا فالوحى حتى اتخذ شكل الكلمة المنطوقة أو المكتوبة (لغة) لابد أن يفهم باعتباره فعلا من أفعال الرب ...) (١) .

ويؤكد هذا فى موطن آخر بقوله (من ثم فإن الوحى بمعناه الواسع يعنى مجرد اتصال أو توصيل أو تبليغ ، وليس من الضرورى أن يكون ذلك عن طريق أى شئ محدد ودقيق " كالحديث " أو " الكلام " أو " المخاطبة " (٢) .

وما دام الوحى نوعا من هذا القبيل - فى نظره فليكن إلقاءا ، أو إلهاما ، أو حديثا نفسيا ، أو إفاضة من اللاشعور " إلى " الشعور " أو ما إلى ذلك مما يفسر بأنه فعل الله تعالى !!!

إلا أنه جزم فى نهاية مبحثه فى الوحى بالتفسير الأخير - التفسير النفسى !!

٢- استبعاد التفسيرات والتأويلات الدينية التى تفسر الوحى الإلهى تفسيرا صحيحا . وإحلال تفسيرات وتأويلات معاصرة تخدم وجهة نظرة رؤيته الخاصة لهذه القضية

وفى هذا يقول : (ونعنى بذلك - يشير إلى الوحى - التجربة الفعلية (٣) بصرف النظر عن التفسيرات ، وهذه التجربة الفعلية لا

(١ ، ٢) الإسلام والمسحية في العالم المعاصر ، مونتجمرى وات ترجمة د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ ص ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٩ مرجع سابق .

(٣) لاحظ تعبيره عن الوحى بأنه تجربة ، وهذا أمر خاطئ ، وسوف نفرد لمناقشته موضعا آخر إن شاء الله تعالى .

يمكننا بطبيعة الحال إلا الاقتراب منها إذ لا يمكن الوصول إليها تماما ، وفى كل تجربة فعلية لا مناص من وجود عنصر تفسيرى أو تأويلى ، ويمكن إلى حد ما تقليص هذا العنصر التأويلى ، إن لم نستطيع إلغاءه تماما ، أو على الأقل إحلال تأويلات أخرى أكثر اتساقا مع النظرة المعاصرة) (١) .

والنظرة المعاصرة يقصد بها هنا التفسير النفسى لظاهرة الوحى ، والتى يقبلها الفكر اللاهوتى النصرانى المعاصر !!

٣- محاولة إخضاع ظاهرة الوحى للقياسات العلمية ، ووضع هذا القياس شرطا لقبوله ، والقائل بهذا إنما أراد أن يحدد الفعل الإلهى ويحجمه ، وينزع عنه صفاته ، ويجرده من خصائصه ، ويهبط به إلى قياسات الفعل البشرى !! أو يجعل الوحى ظاهرة من الظواهر الطبيعية التى تخضع للقياسات العلمية والمنطقية مع أن طبيعتة وجوهره لا يخضعان لأى قياس !!

إن مثل وات من قضية الوحى مثل من يعلق إيمانه على أمر مستحيل ، أو يشترط على الله تعالى !!!

يقول وات بعد أن ساق آيات سورة النجم الكريمات التى تصف الوحى الإلهى بالصدق وتنفى عن الرسول - ﷺ - الغواية ، والضلال مما يعد من شبهات المغرضين (**ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى . علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى ، وهو بالأفق الأعلى . ثم دنى فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى ...**) (٢)

---

(١) المرجع السابق ص ٤٦ .

(٢) النجم ٢ - ١٨ .

يقول وات (من الواضح تماما أن هذا الوصف ليس وصفا علميا ، ووصفا محددا يمكن قياسه) (١) .

وكأن وات يريد من الله تعالى ألا يقول إلا ما يفهمه هو ، وألا يصدر عنه إلا ما يكون خاضعا للقياس !!! تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

٤- نفى الدليل الحسى فيما يتعلق بإثبات الوحى الإلهى كصلة كلامية بين الله تعالى ورسله عن طريق جبريل - عليه السلام - ليبقى الوحى محصورا فى دائرة التفسير النفسى المحض ، وليجرد من كل سمات هذا الاتصال الفعلى المباشر بالله تعالى .

وفى هذا يقول مونتجمرى وات (وصف تجربة الوحى توقفت إلى حد كبير عند المستوى السيكولوجى -أ ى النفسى - أما بقية الملمح - على أية حال - فهو الاعتقاد بأن المحتوى أو الرسالة قد أرسلها الله ، فهذا أمر تفسيرى أو اجتهادى، وليس لدينا عليه دليل حسى ، بل وربما ليس لدينا حتى إمكانية تخيله) (٢) .

ونلمح من هذا النص ما يلى :

١- أن وات يصر على الوقوف بالوحى عند مستوى التفكير النفسى

٢- أنه ليس لديه أى استعداد مطلقا للإيمان بقوة غيبية - جبريل - تنزل بالوحى من قبل الله تعالى إلى رسله عليهم السلام . بل إن افتراض هذا الإيمان مستبعد من دائرة تخيله !!

وكأنه يريد القول بأنه لا يؤمن إلا بالمحسوس ، ولكنه إذا نظر إلى جوهر القضية نظرة ثاقبة لتبين له أنه يواجه صعوبة بالغة فى هذا التقرير ، لأن

---

(١) الإسلام والمسحية في العالم المعاصر ص ٤٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٣ .

اللاوعى أو اللاشعور ، أو ما يسميه العقل الباطن أمور ليست حسية ، ومع ذلك يؤمن بإمكانية قذف " اللاوعى " أفكارا محددة بعينها فى دائرة " الوعى " أو بروز أفكار من " اللاشعور " إلى دائرة " الشعور " .

على أن هذه أمور تفسيرية اجتهادية يعجز وات أن يقيم الدليل الحسى عليها ، فهل لا يرتضى هذا التفسير عندما يتعلق الوحى بصلته المباشرة ، ومفهومه الحقيقى بالله تعالى ، ويرضاه إذا ما كان صادرا عن " اللاوعى " أو " اللاشعور " ؟!!

بل إن الدليل الحسى قائم على حقيقة تفسير الوحى الإلهى بصورة ملموسة على نحو ثابت وقاطع ، لا يدع مجالا للشك فى حقيقته وإمكانية وروده .

فقد جاء جبريل عليه السلام ظاهرا للرسول - ﷺ - فى حالته الانفرادية ، وأتاه فى جمع من الصحابة ، وقد عاينه الصحابة ، بل ووصفوه ، وإن لم يكونوا يعرفونه حتى عرفهم الرسول ﷺ به بعد انصرافه فقال لهم : هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمور دينكم .

ونص الحديث يدل على هذا صراحة دون احتياج إلى تأويل ، فقد روى بسنده عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : (كان النبى - ﷺ - بارزا يوما لنا ، فأتاه رجل فقال : ما الإيمان قال : أن تؤمن بالله وملائكته ، وبلقائه ورسله ، وتؤمن بالبعث قال : ماالإسلام ؟ قال : الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به ، وتقيم الصلاة ، وتؤدى الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان ، قال : ماالإحسان ؟ قال :أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، قال : متى الساعة ؟ قال : ما المسئول عنها بأعلم من ا لسائل وسأخبرك عن أشراطها : إذا ولدت الأمة ربتها ، وإذا تطاول رعاة الإبل البهم فى البنيان ،

فـى خـمـس لا يعلمــهن إلا الله ثـم تـلا النبى ﷺ (إن اللــه عنــده علـم السـاعـة) . (١) الآية ثم أدبر ، فقال : ردوه فلـم يروا شيئـا ، فقـال : هـذا جبـريل جـاء يعـلم الناس دينهـم ، قـال أبـو عبـد الله : جعل ذلك كله من الإيمان) (٢) .

وثمة روايات أخرى ذكرته بصفته التى كان عليها (ففى حديث عمر - رضي الله عنه - : بينمـا نحن ذات يوم عند رسـول الله - ﷺ - إذ طلـع علينـا رجل شـديد بياض الثيـاب شديد سـواد الشعـر ، وفى رواية ابن حبـان : سـواد اللحية لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخدية) (٣) .

وكل هذه الروايات تنص على أن هذا الرجل إنما هو جبـريل عليه السلام أتــى فى صورة رجل ليعلم الناس دينهم كما بين رسول الله - ﷺ - وجبريل طرف ثان من أطراف الوحى الإلهى بين الله تعالى ورسله عليهم السلام .

وهذا دليل حسى ظاهر الدلالة لا يحتاج إلى تأويل يدل على أن جبريل عليه السلام كـان يتنزل بالوحى على رسـول الله - ﷺ - ومـا دام يتنزل بـأمر الله تعـالى فـالوحى الإلهى يكون عن طريق المخـاطبـة والمحـادثة والتكلم لا عن طريق الفعل الإلهى المقدس والمتنوع .

وقـد آثرت ذكـر هــذه الروايات فى هــذا الصــدد ، لأنهـــا تـدلل أن الصحابة عاينوا هذا الاتصال المباشر المعنى الحقيقى للوحى الإلهى - بين

---

(١) لقمان : وتكملة الآية (وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير) .

(٢) صحيح البخاري من فتح البارى للإمام ابن حجر العسقلانى حـ١ ص ١٤٠ كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبى ﷺ عن الإيمان ، والإسلام ، والإحسان وعلم الساعة رقم ٥٠ وطرفه : ٤٧٧٧ المطبعة السلفية ط (٣) ١٤٠٧ هـ

(٣) فتح البارى حـ ١ ص ١٤٢ مرجع سابق .

الرســول - ﷺ - وبين الله تعالى فتوفر لهم بذلك معاينة طرفين من أطراف الوحى : الملك والرسول ، وإن لم يروا الله تعالى ، فلأن رؤيته تعالى ليست شرطا للإيمانَ به ، ولأنه تعالى منزه عن صفات الحوادث ، ويبقى موضوع الوحى – كلام الله تعالى – والا على أنه من عند الله تعالى .

وثمة آيات قرآنية تبين أن الرسول ﷺ رأى جبريل عليه السلام منها قول الله تعالى : (ما ضل صاحبكم وما غوى) . وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى . علمه شديد القوى (١) ذومرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنى فتدلَّى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كَذَب الفؤاد مارأى .أفتمارونه على ما يرى . ولقد رآه نَزْلةً أخرى عند سِدرة المنتهى عندها جنة المأوى) (٢) .

وليس ثمة أصدق من كتاب الله تعالى ، فهذا ملمس حسى لم يثبته الرســول - ﷺ - فقط ، وإنما أثبته الله تعالى فى معرض حديثه عن طبيعة الوحى الإلهى ليثبت الدليل الحسى على الوحى من أنه ينزل من الله تعالى إلى الرسول ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام

هذا فضلا عن رؤية الصحابة له عليه السلام على نحو ما سبق فى الحديث الشريف .

إذن فالدليل الحسى قائم على المعنى الحقيقى للوحى ، وهو الاتصال المباشر والإلقاء بواسطة ملك .

إن غاية ما يومن به مونتجمرى وات من معانى الوحى الإلهى أنه إلقاء ينبع لا عن تفكير واع من المتلقى – الرسول – !!

---

(١) وهو جبريل عليه السلام .
(٢) النجم ٢ – ١٥ .

ونحن نؤمن بأن الوحى إلقـاء ، لكن ليس بالمعنى الذى يؤمن بـه وات من أنه إلقـاء من اللاشعور إلى الشعور ، ومن " اللاوعى " إلى " الوعى " وإنما نؤمن بأنه إلقاء بواسطة ملك الوحى المرسل من الله تعالى .

ولم يبق لوات بعد هـذا عذر فى عدم إيمانه بالدليل الحسى علـى وجود الوحـى الإلهى بهـذا المعنى إلا إذا كان متحكمـا لا يستطيـع تقبلـه ، كمـا لا يستطيع قياس الغائب على المشاهد ، فيميز بين كلام الله تعالى وكلام البشر !! ويؤمن بإمكانية ورود الوحى على هذا المعنى .

وتلك قضيته، هو ، وليس له أن يلزمنا ، أو يلزم غيرنا للإيمان بتفسيره النفسى للوحى الإلهى .

منشأ الخطأ الاستدلالى عند وات .

١- أنه أراد أن يخضع تفسير الوحى للمنظور اللاهوتى النصرانى الحديث ، والذى يرى أن الوحى نابع من ذات الشخص - فى النفس - بفعل الله تعالى من " اللاشعور " إلى " الشعور " ومن " اللاوعى " إلى " الوعى " .

مع أن هذا التفسير مرفوض فى الفكر التقليدى اللاهوتى ، على أننا لا نستدل بصحته فى اللاهوت الكتابى القديم على صحته فى الإسلام ، لأن الإسلام هو المهيمن على غيره من الأديان ، فهو الدين الصحيح الذى لم يحرف ، ولم يبدل ، وهو خاتم الأديان ، ويتميز بالعالمية والثبات .

٢- أنه فسر الوحى بأنه فعل إلهى مقدس ، وقصر هذا الفعل فى دائرة الإرادة الإلهية للأفعال الإنسانية ، ونفى أن يكون فعلا حقيقا يتم عن اتصال مباشر بين الله تعالى وبين الرسول بواسطة جبريل عليه السلام .

ولا أدرى لماذا النفى والحصر ، والحذف والإثبات ، فى دائرة الفعل الإلهى ؟! هل سيفضى إلى نتيجة صادقة أم إلى خطأ محتوم فى نتيجة البحث العلمى ؟!!

وغريب أن يجرى مونتجمرى وات قياسات النفى والحصر ، والحذف والإثبات ، والقبول والرفض فى دائرة الفعل الإلهى !! .

وكيف يجرؤ أن يقبل منه ما يشاء بحيث لا يرفض منه إلا ما يتناقض مع وجهة نظره ، ولا يثبت إلا ما يدعهما !!

والمنطق العقلى وقواعد البحث العلمى النزيه تقتضى أن الفعل الإلهى إذا استوى فى تفسيره احتمالان قبل منهما ما كان محل إجماع أهل الحق من أتباع الرسل عليهم السلام ، فضلا عما دلت عليه النصوص الصحيحة الصريحة .

أما أن يترك هذا التفسير المجمع عليه ، والثابت بالنص الصحيح لاتجاهات حديثة فى البحث المعاصر فهذا نوع من العبث ، وضرب من الخبط فى ميدان البحث العلمى !! .

كما لا أدرى كيف يكون للوحى الإلهى معنىً إذا ما جرد من صلته المباشرة بالله تعالى بطريقة " كلامية " أو خطابية "

وطالما أن الخطاب فعل مقدس فى محيط الفعل الإلهى – المطلق وغير المحدود – وأن الإرادة الإلهية للفعل البشرى تنقله – كما يرى مونتجمرى – من دائرة الفعل البشري إلى دائرة الفعل الإلهى (١) فالمفترض اختيار الفعل

---

(١) ونحن لا نؤمن بهذا فالفعل الصادر عن العبد بإرادة الله تعالي ليس فعلا لله تعالي ، وإنما هو فعل للعبد مأذون فيه من الله تعالي . وإلا لنسب إلى الله تعالي فعل الشر ، وإن كان لا يقع فى كونه إلا ما يريد ، وإنما نسوقه على سبيل الاستدراج والفرض الجدلى

الأقوى ، والمعبر تعبيرا حقيقيا عن طبيعة الوحى الإلهى .

وهذا متحقق فى تفسير الوحى بالاتصال المباشر عن طريق المخاطبة بواسطة ملك ، لا بطريق الإذن الإلهى للاشعور بأن " يفيض " فى الشعور واللاوعى أن يتقاذف فى " الوعى " بمعان تفسر على أنها وحى .

٢- فتح دائرة الاحتمال عن طريق الاجتهاد الشخصى فى محيط الاعتقاد الصحيح . فالعقيدة الصحيحة أمر لا يقبل الاحتمال بحال من الأحوال ، ولا تقبل إلا الثابت المقطوع ، والاحتمال فى دائرتها لا يعدو كونه لونا من الظن والحدس .

والوحى الإلهى أصل من أصول العقيدة ، ولا يخضع لهذه القياسات النظرية حتى ولو ارتقى الاحتمال إلى درجة اليقين فيما بعد .

فالعقيدة يقين واليقين لا يثبت إلا باليقين ، ولا يتأتى اليقين إلا عن الأدلة الصحيحة القاطعة المقطوع بثبوتها .

ولسنا هنا بصدد مناقشة شبهات وات حول الوحى الإلهى ، فهذا ليس موضوع بحثنا ، ولكننا فقط نركز على بيان خطأ الاستدلال فى تناول قضايا الإسلام بالدراسة والبحث .

على أن وات لم يكن يناقش قضية الوحى ليقرر مفهوما بعينه يمكن اعتباره نسبة إيجابية ، وإنما ليحاول من خلالها إبطال نبوة رسول الله محمد ﷺ .

ويريد أن يخلص من القول بنظرية " الفيض " إلى نتيجة معينة هى طالما أن الوحى فيض من الذات للذات ، من اللاشعور إلى الشعور ، وأنه ليس كلام الله حقيقة ، وإنما هو فعله ، طالما هو كذلك فإن بالإمكان -على حد تصور وات

وات - مراجعة القران الكريم (١) (إعادة النظر فيه) ونفى ما يتعلق بأهل الكتاب لأنها فى نظره مجرد ردود أفعال للوجود القوى لأهل الكتاب فى شبه الجزيرة العربية !!!

وأرى أن أختم مناقشة هذا المنهج الاستدلالى الخاطئ لهذا المستشرق بمقولة له توحى بأنه لم يكن يقدر قضية الوحى قدرها ، وأنه حاول النيل منها بإخضاعها للدراسات النفسية الحديثة إذ أرجع الوحى إلى الطاقة النفسية أو الحيوية فى ذات الإنسان !!

يقول وات : (والفكرة التى نتبناها هنا فى الأساس فكرة عالم النفس يونج ، فوفقا لهذه الفكرة فإن ما ينبثق من " اللاشعور " إلى " الشعور " فى أحلام الأفراد وخيالاتهم ، وكذلك فى الأساطير الدينية للمجتمع ككل تنطلق من اللبيدو (الطاقة النفسية أو الطاقة الحيوية) أو طاقة الحياة التى هى ينبوع الحياة فى كل البشر ...) (٢) .

وهكذا تتضح النزعة النفسية لدى وات فى محاولة تفسيره الجديد للوحى الإلهى ، لأنه سئم الفكر القديم والمفاهيم - التى يصفها هو بأنها تقليدية - عنه ، ويجب أن لا يؤبه إليه ، أو يكون محل اهتمام وتقدير ، لأنه مفهوم لا ينطبق والقياسات التجريبية الحديثة ، ولا يتوائم مع الأفكار والمفاهيم المعاصرة ، ولا ينضبط مع المنهج فى الدراسات النفسية !!

وقد اتضح بطلان هذه النزعة فى الاستدلال ، وتبين أثرها فى قيمة ما توصل إليه وات من نتائج فى بحث القضية المثارة تتأبى على العلمية ، وتتنافى مع طبيعة الفكرة الدينية الصحيحة عن الوحى .

---

(١) المرجع السابق ص ٥٤ - ٥٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٧ .

الفصل الرابع عشر

تجريد القرآن الكريم من صبغته الدينية وصبغة بالفلكلور

الفصل الرابع عشر

تجريد القصص القرآنى من صبغته وصبغه بصبغة الفلكلور .

من الخصائص المنهجية لمنهج المستشرقين الاستدلالى في معرض إنشاء الأدلة والبرهنة على ما يزعم المستشرقون صحته مما يقدمونه من مقدمات يعتبرونها أساسية فيما يتناولونه من القضايا الإسلامية أنهم يخلعون القصص القرآنى من سياقه الدينى ، ويصبغونه بصبغة الفلكلور أو ما يسمونه الأساطير الشعبية ، أو الأدب الشعبى .

وقد حدث هذا بالفعل فى تصنيف قصة نبى الله يوسف عليه السلام وقصة نبى الله سليمان عليه السلام مع بلقيس ملكة سبأ فى عدة موضوعات اختارها المستشرق أ . ل . رانيلا كنماذج مشتركة لآداب الفلكلور فى الأدبيات الشعبية المقارنة بين العرب (١) – ويقصد المسلمين – والغرب .

ونحن لا نتحدث هنا فقط عن النتيجة التى توصل إليها من خلال الاستدلال بعقد هذه المقارنة الظالمة للقرآن الكريم ، والتى خلصت إلى أن القصتين فى القرآن الكريم قد انبثقتا من الأدب الكتابى الدينى ، والأدب الشعبى الأسطورى على السواء ، وإن كان للقصتين أصلهما الدينى . وإنما نتحدث عن طريقته فى إنشاء الدليل ، ونبين خطأه فيها فنقول :

إنه لا يقارن هنا بين أصلين نصيين دينيين فحسب ، وإنما يقارن بين أصلين دينيين نميا وتطورا فى ظل الأسطورة الشعبية تلقفهما الاتجاه الشعبى الجماهيرى بالقبول وجعلهما رمزا للبطولة ، وجعلهما المستشرق أصلا من أصول الشعبيات المقارنة بين الإسلام ، واليهودية والنصرانية !!

(١) الماضى المشترك بين العرب والغرب : أصول الآداب الشعبية الغربية تأليف : أ . ل رانيلا ترجمة د. نبيلة إبراهيم مرجع سابق .

لا نتحدث عن ذلك بقدر مانتحدث عن خطأ الاستدلال .

والخطأ الذى وقع فيه أ . ل رانيلا أنه نظر إلى القصتين على السواء من أسفل إلى أعلى ، وإن شئت فقل من " القاع إلى " القمة " فالقاع يمثل إقبال الناس على سماع هذا القصص وإيمانهم به (١) .

والمفترض أو الواجب أن ينظر إليه من " القمة " إلى " القاع " وأقصد " بالقاع " هنا ذلك الوسط المتأثر الذى يضم أفراد النوع الإنسانى إن صح التعبير وأقصد بـ " القمة " المرجعية الدينية لهذا القصص على أنه قصص إلهى خالص كما فى القرآن الكريم ، وإلهى محرف أو مشوب كما فى القصص الكتابى .

والباحث فى قضية التأثير والتأثر لابد أن يبدأ بتقييم طبيعة المؤثر وسماته العامة التى توضح مدى قوته التأثيرية على الناس . ثم يدرس بعد ذلك الناس باعتبارهم موضوعا للتأثير يراد انقاذه من وضع ما انحرف به عن القصد ، ثم يتناول بعد ذلك الأثر الناتج عن حتمية وجود المؤثر والمتأثر .

وأقول الموثر أولا ، والمتأثر ثانيا ، لأن هذا هو الترتيب الطبيعى والمنهجى والعلمى فى عرض قضية تأثيرية .

هذا فى الاتجاه الأدبى العام .

وإذا كان هذا ما يجب أن يُنتهج فى الاتجاه الأدبى العام ، فإنه أولى بالوجوب ، وأجدر بالتتبع فى الدراسات الدينية ، وخاصة ذات الصلة بالنص الدينى .

لأن النص الدينى هو المؤثر وليس المتأثر ، ولو انعكست القضية لفقد

---

(١) وأقول هذا على سبيل الإجمال لا التفصيل ، لأن ثمة فرقا بين محتويات القصتين فى القرآن الكريم والنص الكتابى فى المضامين والأهداف .

النص الدينى قيمته المصدرية ، - أقصد إلهيته - وهذا ما حدث بالفعل عندما أثر أهل الكتاب فى نصهم الدينى فحرفوه ، وأضافوا إليه ، وحزفوا منه .

وترتب على ذلك فقدان النص قد سيته واحترامه فضلا عن قيمته التأثيرية ومصداقيته لدى الناس .

وهنا تكمن خطورة إنشاء الدليل لدى رانيلا عندما خال النص القرآنى كالنص الكتابى ، ونظر إليه من خلال الشروح والمرويات الكتابية حول القصص القرآنى - التى ساقها - للأسف بعض المفسرين والمؤرخين المسلمين لا من خلال النص مجردا عن هذه العوامل التى أثرت فى النص الكتابى .

وكان يجب أن يلتفت رانيلا وأمثاله إلى أن النص القرآنى بعيد كل البعد عن عوامل التأثر ، وبعيد كذلك كل البعد عن النظرية الأدبية الروائية التى أرى أن يطلق عليها " التطور الإنمائى للقصص الشعبى " أو القصص الأدبى بحيث تحتفظ القصة بالأصل فقط ، وتكون قابلة للتطوير والتحديث !!!

إننا يجب أن نحترم ذاتيتنا ، ونقدر عقليتنا عندما نتعامل مع نص دينى ، وخاصة إذا كان هذا النص نصا إلهيا معصوما من الخطأ محفوظا من التحريف كالقرآن الكريم .

ولعله مما أوقع رانيلا فى الخطأ فى إنشاء الدليل هنا أنه غاب عنه وهو يتحدث عن شعبية القصص فى الفلكلور المشترك بين العرب والرب أنه وضع معايير ذاتية " لفلكرة " القصص الدينى أي إدخاله فى الفلكلور أو الأدب الشعبى منها أنه جعل ما يتلقفه الناس بالقبول ، ويشيع بينهم ، ويشتهر

على ألسنة العامة والخاصة من أفراد الشعب أدبا شعبيا !!

ومن ثم أخضع القصص الكتابى فضلا عن القصص القرآنى للأدب الشعبى وإن انطلق من منطلق النص الدينى لهذا القصص ، لأنه عرف بين الجميع ، بل وآمنوا به .

وإن ارتقى هذا الأمر فى نظره إلى أن صار نظرية أدبية فلكلورية فهى نظرية خاطئة ، لأننا لو أخضعنا كل ماذاع بين الناس واشتهر على ألسنتهم ، وما تلقفه العامة والخاصة بالقبول من الدين ، لأنه يجب على العامة والخاصة معرفته والإيمان للأدب الشعبى لجعلنا الدين كله اتجاها أدبيا شعبيا وجردناه من طبيعته المصدرية ، وقيمته النصية ، وسمته الدينية والإصلاحية !!!!

خطورة هذا المنهج الخاطئ فى إنشاء الدليل .

تكمن خطورة هذا المنهج الخاطئ فى إنشاء الدليل لدى المستشرقين فيما يلى :

١- تجريد النص الدينى من قيمته الدينية !!

٢-جعل القصص الإلهى مشروعا أدبيا لإثراء الأدب الشعبى والروائى !!

٣- الاهتمام بالجوانب الأدبية ، وتفريغ القصص من مضمونه الدينى بما يتمثل فى إرساء قواعد التوحيد وأصول الدين الحق بجوانبه العقدية والتشريعية والأخلاقية .

٤- انتزاع هيبة النص الدينى واحترامه وقداسته من قلوب الناس ، وخاصة الذين آمنوا به ، مما يدفعهم إلى الجرأة عليه والعبث به !!

٥- تمثيل الأنبياء بأنهم أبطال شعبيون ، مما يوهن الاعتقاد فى نبوتهم فى قلوب الناس ، ويجعلهم أشخاصا أسطوريين.

ويدل على هذا ما قاله أ . ل . رانيلا عن نبى الله سليمان عليه السلام : (على الرغم من أن سليمان وحده شخصية مألوفة فى أدب الحكمة فى العصور الوسطى ، وفى الأمثولات ، وعلى الرغم – والكلام لرانيلا – من أنه يمثل شخصية الساحر الخيالى فى قصص الشرق ، فإن ما يهمنا فى هذا المجال هو الموضوع المشترك بينه وبين ملكة سبأ) (١)٠

وبيت القصيد أن رانيلا يتحدث عن نبى الله سليمان عليه السلام بأسلوب ساخر فيمثله بشخصية الساحر الخيالى فى قصص الشرق !! وهو يقصد بالشرق هناالشرق الإسلامى فهو كثيرا ما يعبر عن الإسلام بهذا التعبير (٢) !! ويسخر إلى حد كبير بالعقلية الإسلامية إذ يعبر عنها بهذا التعبير إشارة إلى أنها كثيرا ما ألفت الأسطورة وآمنت بها !!!

ومما يؤكد هذه الفكرة التى يحاول هذا المستشرق الاستدلال على صحتها قوله فى موطن آخر من كتابه : (ولما دخلت القصة المجال الإسلامى اكتسبت ملامح إسلامية متنوعة محددة ، فقد أصبحت تجتنب كثيرا من الموضوعات التى مصدرها الفكر الخيالى الشائع) (٣)٠

وهى فكرة باطلة مغرضة .

وفضلا عن هذا فإن هذا النص يشير إلى أن قصة سليمان عليه السلام وبلقيس نمت وتطورت فى ظل الإسلام ، وهذا يعنى أن القصص القرآنى تأثر بالتوراة والإنجيل ، فضلا عن تأثره بالأساطير والأدب الشعبى !! .

وهذه شبهة كثيرا ما يثيرها المستشرقون حول القصص القرآنى فضلا عن

---

(١) الماضي المشترك بين العرب والغرب : أصول الآداب الشعبية الغربية أ . ل رانيلا ص ٤٠،مرجع سابق .

(٢) ولا غرو فهو وأمثاله من المستشرقين يرون الإسلام خاصا بالعرب دون غيرهم !!

(٣) المرجع السابق ص ٥٨ .

قضايا العقيدة والتشريع !!!

٦- مساواة مصادر القصص الأسطورى الشعبى أو الرواية الأدبية بالمصادر الدينية التى وردت فيها أصل القصة أو التى تحدثت عن القصص الدينى ذات الصلة ، وخاصة فى القرآن الكريم ما دام قد جعل القصص الدينى أصلا للقصص الأسطورى ، وجعله عاملا من عوامل نهضته وتطوره !!!

وإذا كان المستشرق رانيلا يجعل القصص الكتابى أصلا للأسطورة الشعبية فإننا لا نرضى هذا للقرآن الكريم ، بل إننا ننزهه عن ذلك ، ونربأبه عن مواطن الشبهات ومزالق الأسطورة والرواية .

على أنه لا يضيرنا أن ينحو رانيلا وغيره من المستشرقين هذا المنحى ، وينهج هذا المنهج فى دراسته المقارنة فى أصول الأدب الشعبى الغربى ، لأن الكتاب المقدس ليس خاسرا فى هذه المقارنة ، فهو كتاب محرف بخلاف القرآن الكريم الذى سلم من التحريف ، واتسم بالعصمة والحفظ ، فإن وضعه إلى جانب الكتاب المقدس لاستنباط أصول الآداب الشعبية بين العرب والغرب ظلم له ، ونيل منه ، وافتراء على الله تعالى .

ثم إننا نأبى إباءا تاما أن يطلق على القصص القرآنى لفظ " أدب " لأن الأدب أخذ فى العصر الحديث معنا يجرده من النفع ويتمحض للامتاع والإتناس وهذا المعنى يجافى طبيعة القصص القرآنى وينفى عنه قصد النفع ، ويقصره على جعله مادة أدبية للتسليه وقتل الوقت ويقرر هذا المعنى من المستشرقين جوزيف شاخت إذ يقول : (تحديدنا الحالى لكلمة أدب وجعلها مرادفة فى المقام الأول لكل كتابة لا يقصد من ورائها النفع ، بل

الإمتاع...) (١)

ويقصد شاخت من هذا تقرير نظرية الأدب الغربى المعروفة **(الفن للفن)** (٢)

ثم إن هذا المعنى الذي يحدده شاخت لا يتفق من وجهة نظرى – وأحسب أن كثيرا من النقاد والباحثين يذهب إلى هذا – مع طبيعة الأدب فى الإسلام بوجه عام ، فضلا عن القصص القرآنى الكريم .

فالإسلام يهدف دائما من وراء أى عمل يمت إليه بصلة أن يكون عملا يقصد منه النفع ، وأخذ العبر ، واستنباط الدروس ، والوقوف على الأهداف لتصحيح المسار ، وتقوية الإيمان منبثقا من روحه التوحيدية الإيمانية ، ومبدأ مراعاة الخير ، والنفع العام ، ولا يكتفى منه بالإمتاع فقط ، والافتجريده من وصف الإسلام يصبح لازما حتى لا نلصق بالإسلام مالا يتفق ومبادئه وتعاليمه .

فالأدب بهذا التعريف أخذ صورة مصطلح غربي ، وإطلاقه بعد تقييده بالإمتاع فى المقام الأول على المعنى الإسلامى له مغالطة فادحة ، وستسلمنا إلى تجريد الأدب الإسلامى من سماته ، وخصائصه ، وقيمته الذاتية (٣) .

لذا فإننا نأبى أن يطلق هذا المعنى على الأدب الإسلامى بوجه عام ، فضلا عن أن يطلق على قصص القرآن الكريم .

---

(١) تراث الإسلام جوزيف شاخت ، كليفورد بوزورث ترجمة د. حسين مؤنس ود. إحسان صدقى العمد ومراجعة د، فؤاد زكريا جـ٢ ص ٧ مرجع سابق .

(٢ ،٣) وقد ظهرت فى العصر الحديث بعض الاتجاهات النقدية التى تحتم ضرورة فصل الأدب الإسلامى عن نظريات الأدب العالمية التى تنبثق من رؤى فلسفية ، واتجاهات فكرية ، ومذاهب إجتماعية غربية حتى يبقى على استقلاله وذاتيته وحتى لا تطمس معالمه فى أتون الصراعات الأدبية العالمية ومن الكتب التى ظهرت لتؤصل لهذا الاتجاه:كتاب نحو مذهب إسلامى فى الأدب والنقد د. عبد الرحمن رأفت الباشا تقديم الشيخ أبو الحسن الندوى ص ٦٨ . ٦٩ ، ٨٧ وما بعدها دار الأدب الإسلامى ط (٣) ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م .

مثال تطبيقى

قصة نبى الله يوسف عليه السلام

اعتمد المستشرق أ . ل رانيلا فى غضوف حديثه المقارن عن القصص بين القرآن الكريم والتوراه والقصص الشعبى بوجه عام ، وإنشاء الدليل لتأييد وجهة نظره فى هذا الوضوع الذى حوله بنظرته إلى مشكلة من خلال عرضه لقصة نبى الله يوسف عليه السلام كأصل للدراسة المقارنة للفلكلور الشعبى بين العرب (١) والغرب – على حد تعبيره .

اعتمد على ما يلى :

١- **عدم التفريق بين قصص القرآن الكريم وقصص الروائيين التى نسجت على منوالها !! والتعبير عن ذلك بما يوهم ، بل يشير صراحة إلى جعل الأصل القصصى القرآنى لقصة نبى الله يوسف عليه السلام أصلا لروائيات القصص الخيالى مع عدم تركيزه على أن مثل هذا** القصص كان له نشأته الخاصة التى تختلف ، بل وتنأى بطبيعتها عن القصة فى القرآن الكريم وإن دارت حول مضمونها .

فضلا عن أنه اعتبر الإضافات التى أدخلت على هذا القصص فى الأدب الغربى أو تلك التى جاءت عن مرويات أهل الكتاب عناصر أصيلة فى القصة القرآنية .

٢- ثم إنه ليعتمد فى إنشاء الدليل أيضا على رؤيته الخاصة بأن قصة يوسف عليه السلام فى القرآن الكريم مقتبسة من التوراة والأدب الشعبى ، واحتفظت بطابعها الإسلامى التى تميزت به مع مرورها بمراحل

(١) المستشرقون يقصدون بهذا التعبير (العرب) تخصيص الإسلام بالعرب ، والقول بمحليته ، ونفى العالمية عنه ، ولا مرية أنها دعوى مغرضة قام الدليل على بطلانها

التطور على يد المؤرخين والمفسرين !!

فمثلما نمت وتطورت القصة فى التوراة من خلال الفلكلور والأساطير الشرقية ، واليونانية نمت كذلك وتطورت فى الإسلام على يد المفسرين القدامى ، وكتاب القصة فى العصر الحديث .

وفى هذا يقول : (فى عصر محمد - ﷺ - كانت الإشارة الموجزة البسيطة عن زوجة بوطيفار فى العهد القديم التى وردت فى سفر التكوين (٣٩) وقد تطورت فى الشرق الأدنى عبر مراحل التفسيرات العبرية ، وفى الفلكلور ، ومن خلال اختلاط كل هذا بأساطير هيبوليتوس فيدرا اليونانية .

ثم أضاف شراح القرآن الكريم بدورهم ، وكذلك الكتاب المتأخرون إلى القصة التعاطف معها ، حتى أصبحت قصة يوسف وزليخة أكثر قصص الحب شعبية فى الإسلام) (١)

٣- ويرى أن أصل القصة توراتيا وأن القرآن الكريم نمّى عناصر هذه القصة بالإضافات التى لم يكن لها أصل فى النص العبرى ، وأنه هو الذى فتح الباب للكتاب فى مستقبل الزمن لتوسيع آفاق القصة عن طريق الإضافة والاختلاف أو الابتكار أو الإبداع ، بينما لم تسمح التوراة بهذا !!

وفى هذا يقول : (ومن الواضح أن النص القرآنى نمى قصة يوسف ﷺ فمن الإضافات أن يوسف استجاب لسحر المرأة لولا أنه رأى برهان ربه الذي صرفه عن الأثم وأن قميصه قد من الخلف ، وبناء على ذلك أعلن الشاهد براءته ، وأن النساء اللاتى استضافتهن المرأة أذهلهن جمال يوسف إلى درجة أن قطعن أيديهن ، وبناء على ذلك أعفينها من اللوم ، وأن

(١) الماضى المشترك بين العرب والغرب أصول الآداب الشعبية الغربية أ . ل رنيلا ترجمة د. نبيلة إبراهيم ص ١٦ مرجع سابق .

الزوجة اعترفت بذنبها على الملأ فى نهاية الأمر .

وبهذا أقرت سورة يوسف - عليه السلام - فى القرآن الكريم - والقول لرانيلا - النموذج المستقبلى لتأليف هذه الرواية فى الشرق الأدنى ... على أن النص الشرقى المشروع - يقصد النص القرآنى الكريم - لم يكن مثل النص الغربى مانعا من توليد الروايات التى قبلت على المستوى التفسيرى على هامش النص الدينى) (١).

ومنشأ الإشكال فى هذا الاستدلال ، والذى نمى وتطور وأخذ صورة الشبهة حول واحدة من قضايا الإسلام هو أن المستشرق رانيلا اعتبر ذكر نص القصة فى التوارة أصلا ، واعتبر للتوراة المرجعية الأصيلة فى هذا دون القرآن الكريم الذى سمح فى زعمه - بما لم تسمح به التوراة ، وتراه لا يتورع عن وصف القصة فى القرآن الكريم بأنها " تقليدية "

ونرد فساد هذا الاستدلال بما يلى :

١- إننا لا ننكر قدم قصة نبى الله يوسف عليه السلام وورودها فى التوراة قبل أن ترد فى القرآن الكريم ، لأن التوراة كانت سابقة للقرآن الكريم ، وإنكار هذا مكابرة وجحود .

ونحن مأمورون أن نؤمن بما جاء فى التوراة .

ولكن أى توراة تلك التى أمرنا بأن نؤمن بما جاء فيها أهى توراة موسى عليه السلام أم توراة اليهود ؟! .

وثمة فرق كبير بين هذه وتلك ، فتوراة موسى عليه السلام كانت إلهية خالصة إلى أن حرفها اليهود فنسبت إليهم لا إلى موسى عليه السلام مع الاحتفاظ بأن لها أصلا إلهيا .

---

(١) نفس المرجع ص ٢٧ .

وتحريف التوارة ثبت نصا ، وجهر به كثير من النقاد الغربيين . وألف النقاد المسلمون فى هذا مؤلفات كثيرة ، وهذه وتلك أثبتت التحريف بالتبديل والتغيير والزييف والحزف والإضافة وما إلى ذلك من صور التحريف .

وقد وصف القرآن الكريم أهل الكتاب بأنهم (**يشترون بآيات الله ثمنا قليلا**) (١) .

وبأنهم(**يحرفون الكلم عن مواضعة**) (٢) (**من بعد مواضعه**) (٣) .

أما القرآن الكريم فهو كتاب يتحقق بإلهية نصة ، وصدق مرجعيته الدينية ، ولم يقم دليل صادق على تحريفه ، فقد تكفل الله تعالى بحفظه (**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**) (٤) .

ومن الموضوعية والأمانة العلمية أن نحتكم إلى ما سلم من التحريف والتبديل والتغيير لا إلى ما تحقق به ، ونجعله أصلا ، ونثبت له المرجعية المطلقة فى الوقت الذى تثبت فيه ورود القصة إجمالا فى التوراة ، وأن نثبت منها تفصيلا ما اتفق مع النص القرآنى الكريم .

على أن نتوقف فيما لم يرد فيه مالم يصطدم بأصل عقدى أو تشريعى ، أى يخالفه فإن اصطدم بشئ من ذلك وعرضناه على العقل واحتكمنا إلى القرآن الكريم فيه ، فإن خالفه فى شئ من ذلك ورد فيه أنكرناه ورددناه .

٢- ولو فرضنا جدلا أن توراة اليهود سالمة من التحريف والتبديل والتغيير ، أو أن توراة نبى الله موسى عليه السلام ، موجودة الآن بين يدى أهل الكتاب .

---

(١) المرجع السابق .
(٢) المائدة : ١٣ ، والنساء : ٤٦ .
(٣) المائدة : ٤١ .
(٤) الحجر : ١٥ .

ولو فرضنا جدلا إلٰهية نصى التوراة والقرآن الكريم فأيهما يؤخذ به ؟ السابق أم اللاحق ؟ التوراة أم القرآن الكريم ؟

إن العقل يقتضى أن يؤخذ باللاحق ، لأنه قد يرد فيه مالم يرد فى سابقه أصلا ، أو يرد فيه ما ينسخ بعض ما ورد فى السابق ، أو يصحح ما عبثت به اليد من هذا السابق بعد .

٣- وباعتبار أن القرآن الكريم هو الكتاب الإلهى الخاتم ، فهو المهيمن على سائر الكتب السابقة قال تعالى : (**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من العلم لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ....**) (١) فيجب أن نحتكم إليه ونؤكد مرجعيته وأصالته .

٤- وإن هذا الذى جاء زائدا فى القرآن الكريم ، ولم يرد فى التوراة - على حد تعبير - المستشرق رانيلا - نص إلهى لا يمكن أن يشتم منه أن القرآن يأذن أو يفتح الباب لمتقول أن يتقول فيه على الله تعالى بشئ ولو كان رسول الله محمد ﷺ ، فضلا عن أن يجعل مادة قصصه مشروعا أدبيا للإنشاء والابتكار والابداع ، أو أن يضع رمزا القصة ما ثم يناشد المسلمين بتفصيلاتها ومشاهدها وتذييلاتها لإذكاء العقلية الأدبية والروائية !!

تعالى الله تعالى عن ذلك ، وهو القائل لرسول الله محمد - ﷺ- (**ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمن . ثم لقطعنا عنه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين**) (٢) .

---

(١) المائدة : ٤٨ .

(٢) الحاقة : ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ .

وحاشا لرسول الله ﷺ أن يتقول على الله ، والنص القرآنى الكريم يقطع بأن هذا لم يخطر ببال رسول الله ﷺ ، ولم يدر بخلده إذ لو كان قد وقع له شئ من ذلك لوقع عليه العقاب ، ولم يحدث ، فدل ذلك على أن الآية جاءت على سبيل الفرض لا على سبيل التقرير .

فأنى يقال بعد هذا : (إن قصة يوسف فى القرآن الكريم أقرت النموذج المستقبلى لتأليف الرواية فى الشرق الأدنى) .

وأنى يستقيم قول رانيلا : (وقد اكتشف قريبا مخطوط إسلامى شعرى يرجع إلى القرن الثالث عشر أو الرابع عشر ، وهو يثبت إمكان إضافة لمسات جديدة على يد أجيال المنقحين للقصة ، بل لمسات فكاهية ، وإن كان ذلك يتم فى إطار الحكاية التراثية) !!

إنى لأعجب لهذا الذى يريد أن يضيف مشاهد الكوميديا لكتاب إلهى بدلا مما يسمونه بمشاهد " الدراما " التى تقتم الصورة ، ويسمح لنفسه أن يتطاول على الذات العلية فيعدل على الله تعالى !!!!

لو كان الأمر كذلك لفسد الدين ، ولما كان هناك أصلا داع لإنزال كتاب من السماء على البشر ، ولخاطب الله تعالى الأنبياء وخواص البشر بأن يؤلفوا للناس مما تمليه عليه قرائحهم .

فضلا عن أن القرآن الكريم لم يأت كتابا أدبيا ، بمعنى أنه يتمحض للسرد التاريخى ويؤرخ للأحداث والمواقف ، وإنما ما جاء من القصص فيه لم يأت لذاته ، وإنما لما فيه من دروس وعبر ، ولو أنه كان متجردا من ذلك لما ذكره الله تعالى فى كتابه ، لأنه صار حشوا ، وحاشا لله تعالى أن يكون كلامه كذلك .

إنها نظرة المستهزئ بالوحى الإلهى الذى لا يرجو لله حرمة ولا وقارا .

وأعتقد أن الجو الذى نشأ فيه رانيلا جعله يسخر من كل قيمة دينية لأنه رأى الجرأة على الكتب الإلهية ، والعبث بالأصول الدينية الصحيحة مما لا يتورع عنه أهل الكتاب !! .

وإن كان رانيلا يجيز هذا لتوراة اليهود فإنا لانجيزه للقرآن الكريم ، ونبرأ إلى الله تعالى مما يزعمه أو يدعيه .

فالقرآن – فى زعمه – هو الذى تأثر بالقصة فى التوراة ، وهو الذى فتح باب التأثر للروائيين والقصاص فيما بعد وحتى عصرنا هذا !!!

ولا يخفى بالمقارنة بين القصة فى القرآن الكريم وبينها فى التوراة مناقضة هذه النتائج الأدبية حول القصص القرآنى مع الواقع (١) .

٤- ثم أخذ يعقد مقارنة بين الثعلبى والكسائى (٢) فى فتح آفاق القصة ، وإثرائها بالمشاهد المتعددة ، والتى لم تكن موجودة فى القرآن الكريم أو – بمعنى آخر – التى غابت عنه !!!

وهو يحترم المادة الروائية عند الثعلبى والكسائى ، والتى يرى أنها أبرزت جوانب مهملة فى القصة القرآنية ويقدرها !!

فى حين أنه لم يتحدث عن القيمة الأدبية والعلمية لمروياتهما وكذا القيمة الدينية والتوثيقية – المرجعية التاريخية التأصيلية – لهذه القصة .

فمرويات الثعلبى فى قصصه فى عناصرها التفصيلية ليست محل اجماع علماء الأمة ، فضلا عن أنها ليست محل ثقة القلة منهم حتى يوثق بها هذا الوثوق ، وتحظى بهذا التقدير والاهتمام !! ولا ينهج هذا المنهج فى البحث باحث منصف متجرد للموضوعية متصف بالأمانة العلمية .

---

(١) وسوف نعقد بعضا من المقارنة بينهما فيما بعد .

(٢) الماضى المشترك بين العرب والغرب . أ . ل رانيلا ص ٢٨ - ٣٢ مرجع سابق .

فهذه المرويات وما دار فى فلكها عند الثعلبى وغيره تتناقض مع كثير من مشاهد القصة فى النص القرآنى ، وما جاء زائدا عنها يمثل طعنات صارخة لعصمة الأنبياء حيث تصورهم بصورة مزرية لا تليق بالأولياء ، أو بذوى الهيئات ، فضلا عن الأنبياء !! .

وفوق هذا كله تأتى لتستلب الذات الإلهية هيمنتها وقدرتها ، وتسمها بالغفلة ، وتسلب عنها الكمال المطلق – تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا – فى غياب الرؤية النقدية الفاحصة ، والتوسع فى النقل عن أهل الكتاب ، وتجاوزهم فى الأخذ عنهم دون توثيق مع علمهم بأن كتبهم محرفة !!!

وقصص الثعلبى مترع بالشواهد التى تؤكد هذا المعنى وتوضحه

٥– تصوير نبى الله يوسف عليه السلام على أنه بطل شعبى لانبيا مرسلا من الله تعالى له مكانته ونزاهته المستقاه من الرسالة لا من منابع البطولة ومعالمها

وفى هذا يقول أ . ل . رانيلا : (وفى مثل قصة النجاح هذه – يقصد قصة نبى الله يوسف عليه السلام لم تكن حادثة زوجة سيده سوى نكسه قصيرة فى الطريق الصاعد للبطل) (١) .

وشتان ما بين النبوة والبطولة.فالنبوة منحة إلهية وهبية لا منحة شعبية تتفوق معالمها على معالم خواص الشعب البطولية ، فيمنحها الشعب له فى ذلة ، لأنه القاهر لإرادته ، ثم ينسج حولها الأساطير والخرافات الشعبية التى تتغنى بها الأجيال فيما بعد !! .

والبطولة مثار للصراع بين من يشتركون فى القدر الأدنى من مقاييسها

(١) الماضي المشترك بين العرب والغرب أصول الاداب الشعبية الغربية أ . ل . رنيلا ص ١٦ مرجع سابق .

الشعبية ، مما يجعلها لا تقوم إلا على الهياكل والأطلال بعدما ينتصر البطل بإرادته وقوته على إرادة الشعب وقوته ، حتى ينصب نفسه بطلا أو يقلده الشعب قلادة البطولة .

أما النبوة فليست مثارا لصراع ، لأنها مؤيدة بالمعجزة ، ومدعى النبوة لابد أن يأتى بآية تدل على صدق نبوء ته يفتقر فى إظهارها إلى الله تعالى ، فإن لم يأت بها فهو مدع كذاب ، وقد احتفظت لنا ذاكرة التاريخ بنماذج لأولئك الذين ادعوا النبوة وذهبوا لينصبوا أنفسهم مناصب الريادة فرجعوا وهم مثار سخرية واستنكار العامة والخاصة !! كمسيلمة ، وسجاح ، والأسود العنسى .

ثم إن البطولة تهتم بمظاهر القوة الجسدية التى يتفوق بها البطل على أفراد بعض بيئته الذين تتوفر لهم هذه المظاهر بدرجة جعلتهم محلا للمنافسة على البطولة .

أما النبوة فلا يشترط لها هذه المظاهر ، لأن هذه المظاهر مقاييس للفتونة – فى القصص الشعبى – وإن شئت قلت " البلطجة " وإنما يشترط فى النبى عصمته من كل مرض منفر .

ويجب أن يوضع فى الاعتبار أننا لا نرتضي أن توضع " النبوة " و " البطولة " فى ميزان واحد أو نسلط عليهما رؤيتنا النقدية ، وما كان لى أن أذكر بعض هذه الفوارق لولا أن الضرورة البحثية والمعالجة الموضوعية لهذه المشكلة هى التى اقتضت ضرورة إجراء هذه المقارنة لبيان فساد خصائص الاستدلال ، والاخطاء العديدة والأغلاط المنهجية التى اعتمد عليها المستشرقون فى إنشاء الدليل فى عرض القضايا الإسلامية !!!

مقارنة بين قصة يوسف ﷺ فى القرآن الكريم والكتاب المقدس

أرى أنه من الضرورى بعد هذه الرؤية النقدية لفكرة المستشرق رانيلا التى أطلق عليها الماضى المشترك بين العرب والغرب) من خلال قصة يوسف ﷺ فى القرآن الكريم والتوراة ، أرى أن أذكر نموذجا من إحدى المقارنات التى أجراها بعض النقاد المسلمين للحركة الفكرية الغربية حول الإسلام - الاستشراق - وأبين من خلالها أوجه الاتفاق والاختلاف والسمات التى تميزت بها القصة فى القرآن الكريم عنها فى التوراة .

ومن الذين عقدوا هذه المقارنات فى اتجاه نقدى فاحص يتسم بالعمق والدقة والشمول وحل إشكالات القضية ببراعة وثبات - بتوفيق من الله تعالى - هو مالك بن نبى فى كتابه الظاهرة القرآنية .

وسأسوق طرفا من هذه المقارنة فيما يلى :

جدول التفاصيل القرآنية فى قصة يوسف عليه السلام

	الآية القرآنية	الرواية القرآنية	الرواية الكتابية	النص الكتابى	ملاحظات
١	١ - ٣ آلر .... وإن كنت من قبله لمن الغافلين	مدخل يضع القصة فى إطار الظاهرة الدينية «عام»	مدخل يضع القصة فى الإطار العائلى «خاص»	سكن فى أرض غربة أبيه	اختـلاف
٢	٤ - ٦ إذ قال يوسف لأبيه .... إن الشيطان للإنسان عدو مبين	رؤيا واحدة ليوسف	رؤييان ليوسف	٥ - ٩ رأى يوسف حلما فأخبر به أخوته .. ورأى حلما آخر	اختـلاف
٣	٧ - ١٥ لقد كان فى يوسف وإخوانه .... فلما ذهبوا به وأجمعوا	ذهاب يوسف بموافقة أبيه عقب التآمر عليه	ذهاب يوسف بأمر يعقوب	فقال له امضى فافتقد سلامة إخوتك	اختـلاف
٤	١٦ - ١٨ وجاءوا أباهم عشاءا ... قال بل سولت لكم ... فصبر جميل ...	ارتياب يعقوب فى أولاده وأمله عقب المؤامرة	سرعة تصديق يعقوب ويأسه عقب المؤامرة	وحش ضار أكله افترس يوسف افتراسا وقال : إنى أنزل إلى ابنى فى الجحيم « يأس »	اختـلاف
٥	١٩ - ٢١ وجاءت سيارة ...... وقال الذى اشتراه من مصـر	بيع يوسف ووصوله إلى مصر	نفس الرواية	وأما يوسف فانزل إلى مصر	القرآن يؤكد أكثر تدخل إرادة الله
٦	٢٤ ولقد همت به وهم بها ...	هم يوسف بالمعصية وبرهن الله له	لم يرد	———	خفض
٧	٢٦ إن كان قميصه قـد	القميص تقده المرأة	القميص تأخذه المرأة	ترك رداءه بينها وفر هاربا	اختـلاف
٨	٢٦ قال العزيز: (يوسف اعرض عن هذا واستغفرى لذنبك)	إدانة خلقية من الزوج لزوجته	غضب الزوج على يوسف	استشاط عليه غضبا	اختـلاف
٩	٣٠ وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه	فضيحة فى المدينة واجتماع للنسوة	لم يرد	———	خفض

جدول التفاصيل القرآنية فى قصة يوسف عليه السلام

	الآية القرآنية	التفصيل فى الرواية القرآنية	التفصيل فى الرواية الكتابية	النص الكتابى	ملاحظات
١٠	٣٣ قال رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه	دعاء يوسف أمام الحاح المرأة	لم يرد	———	النبى يتحدث أكثر فى القرآن
١١	٣٦، ٣٧ ودخل معه السجن فتيان ... أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار	وعظ يوسف عليه السلام لأصحابة	لم يرد	———	نقص
١٢	نبئنا بتأويله	تعبير الرؤيين يطلب منه	تعبير الرؤيين يتقدم به	فقال له يوسف هذا تعبير الثلاثة قضبان هى ثلاثة أيام	اختلاف
١٣	٥١ قلن حاشا لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز ...	حل نفسى لعقدة السجن باعتراف المرأة	حل سياسى مترتب على رؤيا فرعون	فلينظر فرعون رجلا مهما حكيما يقيم على أرض مصر ويوكل وكلاء عليها ويأخذ خمس غلة مصر	الروح تتكلم أكثر فى القرآن الكريم
١٤	٤٩ ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس	تكهن بعام الرخاء	لم يرد	———	نقص
١٥	وما أبرئ نفسى	وعظ فى حضرة الملك	لم يرد	———	شخصية النبى أكثر ظهوراً فى القرآن
١٦	٥٤ وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى	رد اعتبار يوسف	مهمة معهود بها إلى يوسف	———	عدالة فى القرآن وسياسة فى التوراة
١٧	٥٥ قال اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم ...	يوسف يطلب مسؤولية الخازن	مسؤولية الخازن تعرض عليه	قال فرعون ليوسف أنت تكون على بيتنى وإليك ينقاد كل شعبى	إختلاف
١٨	٥٧ ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون	اهتمام بالآخرة	لم يرد	———	الدين يتكلم أكثر فى القرآن

جدول التفاصيل القرآنية فى قصة يوسف

	الآية القرآنية	الرواية القرآنية	الرواية الكتابية	النص الكتابى	ملاحظات
١	٥٨ وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم ..	مشهد يوسف مع إخوته	صورة بتصرف	عرفهم .. تنكر لهم .. كلمهم بجفاء .. وأمامهم فلم يعرفوه	يوسف أكثر نبوة فى القرآن
٢	٦٣ منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا	بواعث العودة إلى مصر مسعى أبناء يعقوب إليه	بواعث العودة إلى مصر أمر يعقوب ، الذى يبدو كأنما ترك شمعون لمصيره	وانصرفوا وأتونى بأخيكم الصغير فأعلم أنكم لستم بجواسيس	الاتهام بالجاسوسية اعتقال شمعون غير وارد فى القرآن
٣	٦٨ ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغنى عنهم من الله من شئ ..	دخولهم مصر وتآمر يوسف عليهم	نفس الصورة		
٤	٧٠ -٧٩ فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية .. قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده	رحيل أخوة يوسف واعتقال نيامين	مع بعض التصرف		
٥	٨٠ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا..	تشاور الأخوة	لم يرد	———	
٦	٨١ - ٨٧ ارجعوا إلى أبيكم فقولوا ... يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه	عودة الأبناء الى يعقوب الذى يستعين بالأمل والمصابرة	لم يرد	———،	
٧	٨٨ فلما دخلوا عليه قالوا يأيها العزيز	عودة إلى مصر لدى يوسف	لم يرد	———	
٨	٨٩ قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف	مشهد العمل بعفو يوسف عن إخوته	بانفعال	أنا يوسف أخوكم الذى بعتموه إلى مصر	أختلاف
٩	٩٣ اذهبو بقميص هذا	إرسال قميص يوسف إلى أبيه	لم يرد	———	
١٠	٩٤ إنى لأجد ريح يوسف	وحدات يعقوب	لم يرد	———	
١١	٩٦ فارتد بصيراً	شفاؤه ودعاؤه وعفوه عن بنيه	لم يرد	———	
١٢	رب قد آتينى من الملك	ختام القصة بالحمد والثناء	لم يرد (١)	———	

(١) الظاهرة القرآن لمالك بن نبى ترجمة د / عبد الصبور شاهين ص ٢٠٠ ـ ٢٤٠ بتصرف شديد دار الفكر بيروت بدون تاريخ

ما لم يرد فى القصة الكتابية

	الموضـــــوع	فى الكتاب المقدس	فى القرآن الكريم
١	الهم من يوسف .	.... لم يرد /	ولقد همت به وهم بها
٢	فضيحة النسوة	.... لم يرد /	وقال نسوة فى المدينة
٣	دعاء يوسف فى السجن	.... لم يرد /	رب السجن أحب إلى
٤	دخول السجن	.... لم يرد /	ودخل معه السجن فتيان
٥	عام الرخاء	.... لم يرد /	ثم يأتى من بعد ذلك عام
٦	وعظ فى حضرة الملك	.... لم يرد /	وما أبرئ نفسى
٧	تشاور الأخوة	.... لم يرد /	فلما استيئسوا منه .....
٨	عودة الأبناء إلى يعقوب.	.... لم يرد /	ولما رجعوا إلى أبيهم
٩	العودة إلى مصر	.... لم يرد /	فلما دخلوا عليه قالوا
			يا أيها العزيز...
١٠	ارتداد البصر	.... لم يرد /	فارتد بصيرا
١١	القميص وريح يوسف	.... لم يرد /	اذهبوابقميص هذا ......
			إنى لأجد ريح يوسف ..
١٢	الختام « الدعاء »	.... لم يرد /	رب .. قد آتيتنى من الملك
١٣	الاهتمام بالآخرة	.... لم يرد /	...... نفس الآية

ملاحظة :

كل ما لم يرد فى القصة فى التوراة نقص

ما اتفقا عليه

	الموضـــوع	فى الكتاب المقدس	فى القرآن الكريم
١	معرفة يوسف باخوته	تصرف /	فعرفهم وهم له منكرون
٢	دخولهم مصر وحيلة يوسف	ذاتـــه /	ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم
٣	رحيل أخوة يوسف واعتقال أخيه	تصرف /	فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل أخية ... (معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده)

نتائج المقارنة

أولا : أتى القرآن الكريم بحديث أكثر روحية من القصة التوراتية يتمثل فيما يلى :

أ - موقف يعقوب عليه السلام.

١- فقد صورته القصة فى القرآن الكريم على أنه نبى اكثر منه أبا على عكس القصة فى التوراة ويتبدى ذلك فى حديثه عند :

* اختفاء يوسف عليه السلام.

* فى أمله فى عودته .

* فى حديثه مع بنيه بالتحسس من يوسف وعدم اليأس فى وجوده (١) .

ب - كما تبدو الروحانية، فى حديث يوسف عليه السلام فى السجن فى موقفين

* فى موقفه مع الرجلين " صاحبى السجن " .

* فى موقفه مع السجان (٢)

جـ - كذلك تتبدى الروحانية أكثر فى اعتراف المرأة بصورة المتحدث عن الضمير الإنساني (٣).

ثانيا : القصة فى التوراة .

تميزت القصة فى التوراة بما يلى :

١- المبالغة فى وصف الشخصيات المصرية الوثنية بالطبع ، مثل السجان الذى يتحدث كموحد مع أنه وثنى !!

٢- تصوير المجاعة فى القصة الكتابية أقل إجادة منها فى القرآن الكريم .

٣- تكشف الرواية الكتابية عن أخطاء تاريخية ، تثبت الوضع التاريخى

---

(١) ، (٢) ، (٣) المرجع السابق ص ٢٤٢ وما بعدها

منها ما يلى

* عدم أكل المصريين مع العبرانيين لأنه رجس عندهم ، وذلك لتصوير المحن والمصائب التى أصابتهم .

* استخدام لفظ " الحمير " بدلا من " العير " علما بأن الحمير حيوانات حضرية لاتستخدم فى الصحراء التى كانوا فيها والأولى أن يذكروا العير التى هى وسيلتهم فى الصحراء ، وهذا من آثار الوضع والتحريف للتوراة

٤- القصة الكتابية تتمحض للسرد التاريخى لا للعبرة والعظة . أما القرآن الكريم فهو يركز على الشخصية المحورية التى هزمت فى البداية ، ثم تحدثت بمنطق المنتصر فى النهاية ، وهو بهذا يركز على العبرة والعظة ، ومدى قوة الروح الإيمانية (١)

ولعلة قد اتضح من خلال نقد هذه الركيزة المنهجية للاستدلال عند المستشرقين خطؤهم الفادح فى تجريد القرآن إلكريم من سمته الدينية وخصيصته الإلهية ، واعتبار قصصه ، مشروعا نقديا للمقارنة بين أصول الأدب الشعبى بين العرب والغرب .

---

(١) المرجع السابق بتصرف شديد .

خاتمة

لعله قد اتضح من خلال الدراسة المنهجية المتضمنة لتصورات ورؤى نقدية للمنهج الاستدلالى لدى المستشرقين والتى اعتمد المستشرقون فيها على قواعد خاصة بهم تتجافى مع المنطق السليم والنظر الصحيح ، فضلا عن مخالفتها لقواعد المنهج العلمى فى بناء الدليل والثورة على كل البديهيات والمسلمات والنظريات والتعريفات .

فقد وضعوا لأنفسهم بديهيات ومسلمات ونظريات وتعريفات أخرى منبثقة من تصور استشراقى محض ، وتستمد جذورها من القريحة الغربية ، لأنهم رأوا أن الالتزام بقواعد البحث العلمى المنهجى فى بناء الأدلة لا يسعفهم فى تكوين رؤاهم وتصوراتهم الخاصة والموجهة فى تناول قضايا الإسلام بالبحث والدراسة ، مما كان له أثره الخطير على الدرسات الاستشراقية حيث أفقدها قيمتها العلمية ، وسماتها الأدبية ، وموضوعيتها وجردها من الحيدة والنزاهة ، فجاءت نتائجها قاصرة عن إدراك المضامين الحقيقية للإسلام فضلا عن الاضطراب والتنافى ، والتضاد ، والتعارض مع أصوله وقواعده ، وبديهيات الفكر الإسلامى ومسلماته .

والحمد لله تعالى فى بدء وفى ختم
والله تعالى ولى التوفيق ، وهو الهادى
إلى سواء السبيل

المراجع

أولا : القرآن الكريم

ثانيا : كتب السنة الشريفة

١- سنن الإمام أبى داود مطبعة الحلبى ط (١) ١٣٧١ هـ - ١٩٩٢ م .
٢- سنن الإمام الترمذى تحقيق أحمد شاكر : الحلبى ط (٢) ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م .
٣- سنن الإمام الدرامى : دار إحياء السنة النبوية . بيروت بدون تاريخ
٤- صحيح الإمام البخارى طبعة الشعب : ١٣٧٨هـ
٥- صحيح الإمام مسلم : طبعة الحلبى بدون تاريخ .
٦- صحيح البخارى من فتح البارى لابن حجر العسقلانى تحقيق محب الدين الخطيب المطبعة السلطية ط (٣) ١٤٠٧هـ .
٧- المستدرك للإمام الحاكم دار الكتاب العربى . بيروت . بدون تاريخ .

ثالثا : المراجع العامة

٨- أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى أبوْ جريشة دار الاعتصام ط (١) ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م .
٩- الإتقان فى علوم القران للإمام السيوطى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار التراث . بدون تاريخ .
- التفكير العلمى د. فؤاد زكريا الهيئة المصرية العامة للكتاب مشروع مكتبة الأسرة - مهرجان القراءة للجميع) لعام ١٩٩٦ م
- التفكير فريضة إسلامية العقاد . نهضة مصر بدون تاريخ
١٠- الإسرائيليات فى التفسير والحديث د. محمد الذهبى مجمع البحوث الإسلامية ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .

١١- الإسلام والمسيحية إليسكى جوارفسكى ترجمة د محمد خلف الجراد سلسلة عالم المعرفة بالكويت جمادى الأخرة ١٤١٧ هـ - نوفبر ١٩٩٦ م .

١٢- الإسلام والمسيحية فى العالم المعاصر . و. مونتجمرى وات ترجمة د. عبد الرحمن الشيخ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨م

١٣- أعلام النبوة للإمام أبى الحسن البصرى الماوردى المطبعة النموذجية بدون تاريخ .

١٤- تراث الرسلام ، جوزيف شاخت . كليفورد بوزورث ترجمة محمد زهير السمهورى ، د. حسين مؤنس ، ود. إحسان صدقى العمد تعليق د. شاكر مصطفى مراجعة د. فؤاد زكريا ، سلسلة عالم المعرفة ع (٢٣٣) ط (٣) المحرم ١٤١٩هـ - مايو / أيار ١٩٩٨ م

١٥- تطبيق المنهج الرياضى فى البحث عند علماء المسلمين د. محمد على محمد الجندى دار الوفاء المنصورة ط (١) ١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م

١٦- تفسير الإمام الطبرى دار الغد العربى ط (١) بدون تاريخ .

١٧- تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير دار الفكر بدون تاريخ .

١٨- التوراة والإنجيل والقرآن والعلم موريس بوكاى

١٩- الحديث والمحدثون أ. محمد محمد أبو زهو . دار الفكر العربى . بدون تاريخ .

٢٠- دراسات استشراقية وحضارية . مركز الدراسات الاستشراقية والحضارية كلية الدعوة المدينة المنورة ط (١) ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .

٢١- دراسات فى حضارة الإسلام هاملتون جب ترجمة د. إحسان عباس

وآخرين دار العلم للملايين . بيروت ط (٣) نيسان / إبريل ١٩٧٩ م .

٢٢- دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين . د. محمد أبو شبهة مجمع البحوث الإسلامية ١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م

٢٣- رسالة فى اللاهوت والسياسة لاسبينوزا الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١ م .

٢٤- الرسل والرسالات د. عمر سليمان الأشقر . مطابع القبس التجارية الكويت ط (٤) ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .

٢٥- روح المعانى للإمام الإلوسى دار الفكر . بيروت . بدون تاريخ .

٢٦- الاستشراق وجه للاستعمار الفكرى د. عبد المتعال الجبرى مطبعة المدنى ط (١) ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م .

٢٧- الاستشراق والخليفة الفكرية للصراع الحضارى د. زقزوق . دار المنار ط (٢) ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

٢٨- الاستشراق والمستشرقون د. عبد الجليل شلبى

٢٩- الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم د. مصطفى السباعى المكتبة الإسلامية بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م .

٣٠- السنة قبل التدوين د. محمد عجاج الخطيب دار الفكر ط (٥) ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

٣١- السنة ومكانتها فى التشريع د. مصطفى السباعى . المكتب الإسلامى ط (٤) ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٣٢- السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات فى عهد بنى أمية فان فلوتن ترجمة د. حسن إبراهيم حسن ، ود. محمد زكريا إبراهيم . مطبعة السنة المحمدية ١٩٦٥م .

٣٣- سيرة النبى محمد كارين أرمسترونج ترجمة د. فاطمة نصر ، ود. محمد عنانى . سلسلة كتاب سطور . دار اللواء للطباعة رقم (١) ط (٢) ١٩٩٨م .

٣٤- صور استشراقية د. عبد الجليل شلبى دار الشروق ط (٢) ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

٣٥- الصحابة وجهودهم فى خدمة الحديث النبوى د. سيد نوح دار الوفاء المنصورة ط (١) ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

٣٦- الظاهرة القرآنية مالك بن نبى دار الفكر بيروت بدون تاريخ

٣٧- علم أصول الفقه د. عبد الوهاب خلاف مكتبة الدعوة الإسلامية ط (٨) ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م .

٣٨- عمدة القارى للإمام العينى دار إحياء التراث العربى بيروت بدون تاريخ .

٣٩- العقيدة والشريعة فى الإسلام جولدتسيهر ترجمة د. محمد يوسف موسى وآخرين . دار الكتاب العربى ط (٢) ١٣٧٨هـ ٠ ١٩٥٩م .

٤٠- العقيدة الطحاوية تحقيق جماعة من العلماء المكتب الإسلامى ط (٨) ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

٤١- فجر العلم الحديث الإسلام . الصين . الغرب توبى أ . هاف . ترجمة د. أحمد محمود صبحى سلسلة عالم المعرفة شوال ١٤١٧هـ - مارس ١٩٩٧م

٤٢- فى ظلال القرآن الشيخ سيد قطب دار إحياء التراث العربى لبنان ط (٧) ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .

٤٣- الفصل فى الملل والأهواء والنحل للإمام ابن حزم الظاهرى تحقيق د . محمد عميرة دار الجيل بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٤٤- قصة الحضارة ول ديورانت ترجمة أ . عبد الحميد يونس مطابع الدجوى ١٩٧١م ٣٧م

لسان العرب للعلامة ابن منظور دار المعارف بدون تاريخ .

٤٥- محاضرات فى قواعد البحث العلمى د . صفوت شاكر مهنا ١٩٩٠م

٤٦- مختار الصحاح للإمام محمد بن أبى بكر الرازى دار الفكر العربى . بدون تاريخ .

٤٧- مدخل إلى مناهج النقد الأدبى تأليف مجموعة من الكتاب ترجمة د. رضوان ظاظا مراجعة د. المنصف الشنوفى مسلسلة عالم المعرفة . الكويت ذو الحجة ١٤١٧ هـ - مايو / أيار ١٩٩٧ م .

٤٨- مفاتيح الغيب للإمام الرازى دار الغد العربى ط (١) ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

٤٩- مناقشات وردود للكاتب محمد فريد وجدى . تجميع د. محمد رجب البيومى الدار المصرية اللبنانية ط (١) ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

٥٠- مناهج البحث العلمى د. عبد الرحمن بدوى . وكالة المطبوعات بالكويت ط (٣) ١٩٧٧م

٥١- مناهج المستشرقين فى الدراسات العربية والإسلامية . المنظمة العربية للتربية والثقافة فى العلوم . مكتب التربية العربى لدول الخليج بمناسبة الاحتفال بالقرن الخامس عشر .

٥٢- منهج كتابة التاريخ الإسلامى وتدريسه الأستاذ ، محمد صامل السلمى المنصورة ط (١) ١٤٠٨ - ١٠٨٨ م .

٥٣- من أعلام النساء المسلمات د. حسن عبد الرؤف البدوى مطبعة الفجر الجديد ط (١) ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

٥٤- الماضى المشترك بين العرب والغرب أ . ل . رانيلا ترجمة أ . نبيلة إبراهيم . سلسلة عالم المعرفة . رمضان ١٤١٩هـ - يناير كانون الثانى / ١٩٩٩م

٥٥- المرأة فى ظل الإسلام د. حسن عبد الرؤف مطبعة الفجر الجديد ط (١) ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م .

٥٦- الملل والنحل للشهر ستانى تحقيق محمد كيلانى ط الحلبى بدون تاريخ .

٥٧- المعجم الفلسفى د. عبد المنعم الحفنى الدار الشرقية ط (١) ١٤٠١هـ ١٩٩٠م .

٥٨- المعجم الوسيط المجمع اللغوى بدون تاريخ

٥٩- المنطق الحديث ومناهج البحث د. محمد قاسم ١٩٦٦م .

٦٠- الموافقات للإمام الشاطبى دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . بدون تاريخ

٦١- نحو مذهب إسلامى فى الأدب والنقد د. عبد الرحمن رأفت الباشا تقديم الشيخ أبو الحسن الندوى دار الأدب الإسلامى . ط (٣) ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

٦٢- الوجيز فى أصول الفقه د. عبد الكريم زيدان . مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٧م

الدوريات

٦٣- مجلة الأزهر ع (٧٠) ١٣٥٥ ه

٦٤- مجلة عالم الفكر . المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآدب . الكويت .
م (٢٧) ع . (٤) إبريل / يونيو ١٩٩٩م

٦٥ – هدية مجلة الأزهر : عالمية الإسلام حقيقة أولية د. رءوف شلبى ربيع الأول ١٤٠٩ هـ

فهـرس الموضوعات

الباب الثانى

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٦٢٩٩
ينـــاير ١٩٩٩م
مكتبة الأزهر الحديثة بطنطا
أمام فرع جامعة الأزهر
أول طريق سبرباى كفر الشيخ